لقاء
الأربعاء

القِطافُ الثالث

٢٠١٠ - ٢٠١١

صالون ناجي نعمان الأدبي الثقافي

مؤسَّسة ناجي نعمان للثـَّقافة بالمَجَّان

صالون ناجي نعمان الأدبي الثقافي

الإدارة العامَّة: حنان ومروان وريَّان نعمان

مديرة النِّقاشات: مرسال الأشقر

المُستشار الأوَّل: د. ميشال كعدي

المُضيفان: ناجي وفاديا نعمان

المحتوَيات

اللِّقاء الأوَّل: العلاَّمة الأب سُهيل قاشا..... ٩
اللِّقاء الثَّاني: المُربِّي والشَّاعر موريس النَّجَّار..... ١٩
اللِّقاء الثَّالث: المُربِّي والشَّاعر أنطوان رعد..... ٢٩
اللِّقاء الرَّابع: الصِّحافيّ والرِّوائيّ جورج شامي..... ٣٩
اللِّقاء الخامس: الرَّاعي بالكلمة والفِعل الأب أغابيوس نَعُّوس..... ٥٧
اللِّقاء السَّادس: المَوسوعيَّة غريد الشَّيخ محمَّد..... ٧٥

لقاء
العَلاَّمَة الأب سـُهَيل قاشا

الأربَعاء ١٧ تشرين الثَّاني ٢٠١٠

الأب سُهَيل قاشا، مع اللّه أبدًا

ميشال كعدي

عاشَ في مُصافاةٍ، ووقفَ بين اللهِ والإنسانِ، ثمَّ رسَمَ الحقيقةَ الرَّبَّانيَّةَ فدلَّتهُ إلى القولِ بجُرأةٍ، على أنَّ ثقافتَهُ جَمَعَتْ غيرَ نمطٍ. رجلُ الدِّينِ هذا، طوَّافُ ثقافةٍ، مرفدَةٍ بذكاءٍ وقدرةِ تواصلٍ، ومقصودٍ صحيحٍ لا بديلَ عنه.

الأب سُهَيل قاشا.
إحتشدَتْ فيه المعارفُ الدِّينيَّةُ، فَرَبَطها بالمنطق والحجَّةِ المشدودةِ، والرَّأي الفارضِ نفسَهُ في ميزانٍ عدلُهُ لا يحيفُ، فأنتَ معه في مُطلق الأحيان من دونِ سأمٍ أو فتورٍ.
هذا الثَّقيفُ تستوقفُكَ معلوماتُهُ، حيثُ الاستقصاءُ والتَّحصيلُ والنِّظامُ الموثوقُ. وأمَّا المضمونُ فيمتازُ بالواقعيَّةِ لشؤونِ التَّاريخِ الدِّينيّ، والمجتمعِ الَّذي خطَّ الرِّيادةَ للدُّنيا المؤمنةِ بالإنسانِ، وسَدادِ الأَهدافِ، ومشاعبِ الحقِّ الَّتي تجري على جُنونِهِ الإيمانيّ.
نذرَ نفسَه للخالق، بعد أن خمَّرها في أَري الخليَّاتِ، وصومَعها في القِبابِ المعنَّقاتِ لتصفوَ من الأَردانِ. همُّهُ في دنياهُ أن يبقى وافيًا للعدلِ، ومشحذةً للفهمِ.
هذا الخَلوقُ، ما هالَهُ وُسْعٌ ومِساحاتٌ أَرضيَّةٌ، ومناصبُ، وإن تيسَّرت له على سبيل المثالِ، يتراءَى لي من بعيدٍ أنَّه لا يشعرُ في الرّقاعِ الواسعةِ بغربةٍ، وإن أَظلمتْ في وجههِ الدُّنيا في العراق أَو في أَيِّ بلادٍ أُخرى، جعلَ مِن سوادِ الثَّوبِ واللَّيلِ إضاءَةً وشموعًا تعابثُها يدُ اللهِ، فإذ ذاك يتخطَّى الصُّعوباتِ على تركيزِ جأشٍ وإرادةٍ لا تهزُّها مشكلاتُ العالمِ الأرضيّ. وأَمَّا الأحكامُ ورخيمُ الحواشي في كُتُبِهِ الَّتي ستربو على المئةِ بإذنِ الله، ففي أَعلى منافِها ومناطِها، وبعدُ لا تَسَلْ عن فكرٍ نيِّرٍ، وأدلَّةٍ واضحةِ المعالمِ، وكلُّ ذلك في صوابِ الرَّأيِ والحصاةِ.

والأب سُهَيل قاشا مؤرِّخٌ. في حياتِهِ شواهدُ تجسِّدُ اطِّلاعَهُ في أغوارِ السُّريانيَّةِ، الَّتي نراها في مفاصِلَ كثيرةٍ منها قدوةً، ثمَّ تتراءَى لك المكانةُ بمختلِفِ الأمورِ والقضايا، أمامَ مدَّخرٍ وكنَّازٍ يكشفُ عن خالصِ المَهمَّاتِ الَّتي أُخِذَتْ على عاتقِ هذا الموقَّفِ على الثَّوابتِ كما يقولُ.

هذا الثَّبيتُ، ملاذُهُ تثبيتُ الحقائقِ والثِّقة. مِن مسالكِهِ الحزمُ، فهو يمتحنُ الأَغوارَ، ثمَّ يبالغُ في تنقيتها، حتَّى يُزيلَ الأقنعةَ عن المُغلق برضًى داخليٍّ، رجلاً مدنيًّا كان، أو رجلَ دينٍ، أو قضيَّةً غيرَ مألوفةٍ.

اليومَ أَعيشُ نعمةَ *(Barres)*، وحَسبُنا لم نقنعْ إلاَّ لمثلِ الأبِ قاشا والتَّاريخِ والكنائسِ ومدارسِ الإيمانِ، على أَنَّنا نعيشُ في كلِّ زمنٍ، حالةَ المشوقِ إلى الصِّدقِ الضَّمين، واسترجاعِ مجدٍ من شأنِهِ سعادةُ النَّفسِ، والغبطةُ الَّتي تطولُ أطرافَ النُّورِ الإلهيّ.

بيننا وبين الفكر الدِّينيِّ المرتبطِ بمرافقِ الحياةِ، حكاياتٌ ومواثيقُ، عزَّزها التَّرابطُ، وأَبعادُ القرونِ. وأَمَّا قِبلتُنا فهي تَوقٌ إلى مستقبلٍ ضحوكٍ، وعدَنا به الإلهُ، وانطلاقُنا أبدًا وعيٌ وإبداعٌ وإيمانٌ وثقافةٌ شموليَّةٌ، وسَبقٌ في المجالِ.

ومهما كانَ الظَّرفُ، سنصلُ إلى الشّعافِ وصولاً إلى السّدرةِ، نشدُّ الدُّنيا بالدُّنيا على متنِ ملائكيٍّ، وقدِّيسين مِن أَرضنا، يسعفُ على التَّعبِ والهلاكِ، وقد ترافقُنا المحطَّاتُ الضَّوئيَّةُ، وحاملُ جراحِنا الَّذي جعلَ على رَغمِ ضناهُ منَّا الحَدَثَ في محتوى القبضةِ.

إذا كان مجدُ روما من منابتِ العقلِ، فإنَّ مجدَ المؤمنِ أَنَّى كان في كُتُبِ الآلهةِ والمؤرِّخين والكَتَبَةِ المؤمنين أمثالَ الأب سُهَيل قاشا.

أب قاشا. لا تَخَفْ، فإنَّنا متفوِّقون، على الرَّغم من ظلمِ الأيَّامِ، وعتوِّ القَهْرِ.

أيُّها النَّاسُ. كلّ مرَّةٍ سُلِبنا العزَّ، وأَعدناه. هذا المؤمنُ الَّذي نصوغُ به اللَّيلةَ، يرفعُ لافتةً تقولُ: الحقُّ والإيمانُ رفيقا حياةٍ وعمرٍ.

أب قاشا. حَسبُكَ المتمرِّدُ أمامَ الحقوق، كَرمى الله.

وَمَن كانَ للهِ يبقى، ويبقى.

دورُ المسيحيِّين في نهضة العراق الحديث*

سُهَيل قاشا

المسيحيُّون، ضحيَّةُ التَّاريخ، وصورةُ الواقع في كلِّ عصرٍ وكلِّ مِصر. فقد حملوا في أعناقهم ذنوبَ الآخرين، وكانوا كبشَ الفداء بمحرقة حقد الشُّعوب، منذ اضطهادات الفُرس شرقًا، والرُّومانيِّين غربًا، والعثمانيِّين شمالاً.

وما يهمُّنا هنا هو توضيحُ أحوال المسيحيِّين في العراق في فترة الحكم الوطنيِّ الَّذي ابتدأ مع قيام الدَّولة العراقيَّة بتنصيب الملك فيصل الأوَّل على عرش العراق يومَ ٢٣ آب ١٩٢١، وإلى الأيَّام الحاضرة.

قبلَ إزاحة كابوس العثمانيِّين عن صدر العرب، المسلمين والمسيحيِّين في العراق، بفترةٍ قصيرة، وبالضَّبط منذ إعلان حقوق الأقلِّيَّات بالحرِّيَّة والإخاء والمساواة بحَسَب دستور عام ١٩٠٨، برزَ عددٌ من العراقيِّين المسيحيِّين في التَّصدِّي للظُّلم والمظالم، وكافحَ وناضلَ في سبيل ذلك، فانخرطَ في الحركة الوطنيَّة للنَّهضة العربيَّة الَّتي قامت بعد منتصف القرن التَّاسعَ عشر.

عاشَ المسيحيُّون العراقيُّون مع إخوتهم المسلمين فترةَ الحكم العثمانيّ (١٥٣٤ – ١٩١٨)، متحمِّلين صعوباتِ الفترة وشقاءَها، وعراقيلَ الحياة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة في تخلُّف مُدقع، مَحرومين من كلِّ سبُل التَّطوُّر والتَّقدُّم، منغمسين في حماة المطاردات، بعيدين عن ميادين الفكر والنَّهضة، وذلك بسبب النَّظرة الشَّوفينيَّة الفوقيَّة، والمثلُ التُّركيُّ ما زالَ مشهورًا بين أبناء العراق: *"لا من الخشب ماشا، ولا من العرب باشا"*. فكانَ العراقيُّون، والحالةُ هذه، مضطهَدين، ينتشرُ بينهم الجهلُ والفقرُ والمرض.

ومع كلِّ الضُّغوطاتِ، فإنَّ بعضًا من المسيحيِّين استطاعَ أن يبرزَ على المسرحَين، الاجتماعيِّ والثَّقافيّ، فأسهمَ عميقًا في حركة اليقظة العربيَّة، ولاسيَّما في النِّطاق الفكريّ، وعلى قدم المساواة مع المسلمين والمسيحيِّين في لبنانَ وسوريا.

* في اختِصارٍ وبعض تصرُّف؛ مع العِلم بأنَّ ما سبَق مَنشورٌ في كتاب "مسيحيُّو العراق" للأب سُهَيل قاشا، شركة دار الورَّاق للنَّشر المحدودة، ٢٠٠٩.

ومن أجلَى الصُّور لهذه اليقظة ظهورُ رجال سياسةٍ وثقافةٍ واجتماع، عملوا معًا، يدًا بيد، مع إخوانهم العرب المسلمين، ولاسيَّما خلال المواقف الوطنيَّة. ونذكر، من هؤلاء، وعلى سبيل المِثال لا الحصر:

الصِّحافيّ داود صليوا (١٨٥٢–١٩٢١)، الَّذي أصدرَ جريدة "صدى بابل" عامَ ١٩٠٩، وشنَّ حملاته القلميَّة على العثمانيِّين، ولاسيَّما على حزب "الاتِّحاد والتَّرَقِّي"، وطالبَ بحقوق العرب. وقد سُجنَ، خلال العهد العثمانيّ، أكثرَ من مرَّةٍ بسبب مواقفه الوطنيَّة.

البطريرك مار عمَّانوئيل توما (١٩٠٠–١٩٤٧)، الَّذي اشتَهرَ بأعمال المبرَّات الجزيلة تجاه الفقراء والمحتاجين إبَّان الحرب العالميَّة الأولى. وعندما احتلَّ الجيش الإنكليزيّ العراق، رغبت بريطانيا بإنشاء دولة للمسيحيِّين في شماليِّ البلاد، فرفضَ البطريركُ هذا الأمر مُصرًّا على قيام الدَّولة العراقيَّة بأبنائها المسيحيِّين والمسلمين. وقد عُيِّنَ عضوًا دائمًا في مجلس الأعيان العراقيّ.

المِطران جرجس قندلا (١٨٨٩–١٩٨٠)، الَّذي، من مواقفه الوطنيَّة، إصرارُه على اعتبار الموصل رأس العراق، ولا يمكن قطع الرَّأس عن الجسم، وبقيَ على هذا الموقف حتى انتهاء النِّزاع بين تركيا والعراق عامَ ١٩٢٦، حين عُدَّتِ الموصل، دوليًّا، جزءًا لا يتجزَّأ من العراق.

الخوري يوسف خيَّاط الموصلي (١٩٠٣–١٩٤٧)، الَّذي انتُخبَ عضوًا في مجلس النُّوَّاب العراقيّ، وسجَّلَ فيه مواقفَ خطيرة، حيث عبَّرَ عن محبَّته للوطن ومدافعته عن حقوق الدَّولة العراقيّة الفتيَّة؛ كما كان عضوًا في الوفد المفاوض مع بريطانيا، ومستشارًا للملك فيصل الأوَّل.

المناضل ثابت عبد النُّور، وهو نيقولا، الفتى المسيحيّ الَّذي انخرط شابًّا في جمعيَّة العهد العربيَّة، وقارعَ العثمانيِّين مُطالبًا بحقوق العرب واستقلالهم. وقد تعرَّض للسّجن والاضطهاد، ثمَّ عُيِّن سفيرًا للعراق بعد قيام الحكم الوطنيّ. واسم "ثابت" هو اسمُه الحركيُّ خلال نضاله ضدَّ الحكم العثمانيّ، وقد رافقه طوال حياته.

بالإضافة إلى هؤلاء، هناك أسماء أخرى لرجالات مسيحيَّة عراقيَّة تميَّزت بمواقفها السِّياسيَّة، من أمثال السَّيِّد يوسف يوسفاني، عضو "مجلس المبعوثان" العثمانيّ، والمحامي نوئيل رسَّام الَّذي اعتُقلَ في ثورة الكيلاني عام ١٩٤١ بسبب موقفه ضدَّ الإنكليز، والمحامي جرجيس فتح الله، والمحامي نعُوم فائق، وغيرهم.

رجالُ النـَّهضة العراقيَّة الحديثة

عندما نشأتِ الدَّولة العراقيَّة بحكمها الوطنيِّ عامَ ١٩٢١، راحَ العراقيُّون جميعًا، مسلمين ومسيحيِّين، يتكاتفون من أجل نقلةٍ نوعيَّةٍ لجهة التَّقدُّم والنَّهضة الوطنيَّة بميادينها المختلِفة، وعلى كافَّة الأصعدة، الثَّقافيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة، في سبيل خلق عراقٍ متميِّز، تمامًا كما كان متميِّزًا بحضارته الأولى أيَّامَ البابليِّين والكلدان والسُّريان والآشوريِّين. وقد راحَ أحفادُ هؤلاء المسيحيِّين يتسابقون في هذا المجال يَدفعهم في ذلك حماسُهم الوطنيّ، وحبُّهم العميق للعراق العظيم.

ولكي نقفَ على جملةٍ من الحقائق المهمَّة والبارزة في التَّاريخ، قد تكون، للأسف، خَفِيَّةً على كثيرين من أبناء الوطن والأمَّة، أرى من الضَّرورة بمكانٍ أن أذكرَ قسمًا من أولئك الأَعلام الَّذين شعَّ نورُهم في سماء العراق، وأنارَ الطَّريقَ أمام العراقيِّين فأصبحوا مثالاً في الوطنيَّة الصَّالحة. لا بدَّ من الإشارة إليهم لأنَّهم مخفيُّون بين طيَّات الزَّمن العاثر، والبحث القاصر، والطَّمس المقصود في دراسات غالبيَّة الباحثين من عربٍ وأجانب.

الرُّوَّادُ المؤسِّسون

مثَّلَ عددٌ من رجالات العراق المسيحيِّين دورًا كبيرًا في حركة النَّهضة القطريَّة (العراق)، والإقليميَّة (الوطن العربيّ)، وأدَّى خدماتٍ جليلةً في القرن التَّاسعَ عشرَ الَّذي شهدَ بدايات النَّهضة، حيث شاركَ فيها نخبةٌ من المُصلحين والأدباء والعلماء ورجال الدِّين، بالإضافة إلى الأفنديَّة والخواجات. ويكادُ يكون تاريخُ النَّهضة هذه، والنَّهضويِّين هؤلاء من المسيحيِّين العراقيِّين، ودورُهم في النَّهضة العربيَّة، مستترًا خفيًّا عن الأعين بفِعل التَّعتيم المقصود ضدَّ أدوار المسيحيِّين، كجَعلهم في الصَّفِّ الثَّاني أو الثَّالث، ليبقوا مجهولين حتَّى عند مواطنيهم، علمًا بأنَّ هذا الأمر، أي التَّعتيم والتَّجاهل، ما زال ساري المفعول في كتب تاريخ الثَّقافة العربيَّة وثقافة العصر الحديث.

فدعوني، وقد حانَ الوقتُ لإماطة اللِّثام وكشف الأقنعة الَّتي وُضعت على وجوه الَّذين يستحقُّون الإجلال والتَّبجيل في جميع مجلَّدات تاريخ العراق والوطن العربيّ؛ أقولُ، دعوني أقفُ وجلاً وخجلاً من هؤلاء الَّذين حرمَهم التَّاريخُ مكانتَهم ومواقفَهم، علمَهم وأدبَهم، فكرَهم وثقافتَهم، من هؤلاء الرُّوَّاد المسيحيِّين العراقيِّين الأوائل، ومنهم:

القسّ الياس بن حنَّا الموصلي (القرن السَّابع عشر)

قامَ برحلة إلى أمريكا بين ١٦٦٠ و١٦٨٢، وهو بذلك أوَّلُ شرقيٍّ يصلُ إلى تلك البلاد. وقد انطلقَ من بغداد إلى روما فأمريكا، فكان أوَّلَ رحَّالة من الشَّرق يصلُ العالمَ الجديد.

الأستاذ يوسف عتيشا الموصلي

هو علاَّمةٌ باللُّغات الشَّرقيَّة، درسَ الكلدانيَّة والآشوريَّة في العراق، مارسَ مهنة التَّدريس في فلسطين فترةً من الزَّمن، إلى جانب دراسته اللُّغات السَّاميَّة القديمة وتاريخها. سافرَ إلى ألمانيا والتحقَ بمعهد الاستِشراق في جامعة فيتنبرغ، وحصلَ على لقب الأستاذيَّة، وقد حفرَتِ الجامعةُ صورتَه على قطعة خشبيَّة تقديرًا لجهوده وتكريمًا له.

خضر بن الياس هرمز الموصلي (١٦٧٩–١٧٥٥)

هو رحَّالةٌ عراقيّ، كلدانيُّ المذهب، موصليُّ المولد، زارَ الــفــاتيكان في العام ١٨٢٥، وعاشَ فيها حتَّى وفاته، وهو يُعَدُّ من أوائل المتكَثلِكين من الكنيسة المشرقيَّة النّسطوريَّة، وقد اضطُهِدَ بعد اعتناقه الكثلَكَة.

المِطران إقليميس يوسف داود (١٨٢٩–١٨٩٠)

هو رائدٌ نهضويٌّ حقيقيّ، ومن العراقيِّين المتميِّزين في ثقافة العصر. تلقَّى علومه في الموصل وروما، وغدا عالِمًا كبيرًا، وعُرفَ في الموصل كمعلِّمٍ ومُرَبٍ، وأتقنَ حوالى عشرين لغة. كانَ بحرًا في اللُّغة العربيَّة، وهو أوَّلُ مَن طبعَ كتابًا مدرسيًّا في نحْوِ اللُّغة العربيَّة والحساب والجغرافيا والتَّاريخ المدنيِّ وغيرها من العلوم. له ٨٥ مؤلَّفًا في مختلِف المعارف والعلوم، وانتُخبَ عضوًا عاملاً في الجمعيَّة الآسيويَّة الملكيَّة البريطانيَّة عامَ ١٨٩٠.

البطريرك أغناطيوس أفرام رحماني (١٨٩٧–١٩٢٩)

حائزٌ إجازةً في الفلسفة واللاَّهوت من جامعة پروپــغَندا في روما الَّتي وصلَها في العام ١٨٦٣، كما سيمَ كاهنًا هناك. أصدرَ مجلَّةَ "الآثار الشَّرقيَّة" وأكثرَ من أربعين كتابًا وعدَّةَ مقالات في التَّاريخ واللِّيتُرْجيا، وباللُّغات العربيَّة والفرنسيَّة واللاَّتينيَّة والسُّريانيَّة. وكانَ العلماءُ يتهافتون لحضور محاضراته في أثناءَ وجوده في أورُپــَّا.

البطريرك الكاردينال مار أغناطيوس جبرائيل الأوَّل تبُّوني (١٨٧٩–١٩٦٨)

من مواليد الموصل، نُصِّبَ بطريركًا في العام ١٩٢٩، وكردينالاً في العام ١٩٣٥، وهو بذلك أوَّلُ بطريرك من الكنيسة السُّريانيَّة الشَّرقيَّة يقبلُ هذه الدَّرجة السَّامية. شيَّدَ الكثيرَ من الكنائس والمدارس، كما قامَ بتجديد الرّهبانيَّة الأفراميَّة – بنات أمِّ الرَّحمة.

البطريرك جرجس خيَّاط (١٨٢٨–١٨٩٠)

تلقَّى علومَه اللاَّهوتيَّة وسيمَ كاهنًا في روما، ثمَّ عادَ إلى الوطن حيث نُصِّبَ مِطرانًا، ثمَّ انتُخِبَ

بطريركًا. إهتمَّ بالتَّأليف والنَّشر والتَّعليم، وأصدرَ العديدَ من الكتب المدرسيَّة، واهتمَّ بالمدارس الخاصَّة بطائفته، وكانت كثيرةً وواسعةَ الانتشار.

***

هذا، وكان ناجي نَعمان افتتحَ موسمَ صالونه الأدبيّ الثَّقافيّ الثَّالث (٢٠١٠-٢٠١١) باستِضافة العلاَّمة الأب سُهَيل قاشا في "لقاء الأربَعاء" الثَّالثَ عشر. وقد رحَّبَ نَعمان بالحضور، وتكلَّمَ على الأب قاشا، ولاسيَّما على تواضعِه الَّذي يزيدُ مع ارتفاع عدد الكتب الَّتي تحملُ اسمَه، وقد ناهزَ عددُها المئة. ثمَّ جرى تقديمُ الضَّيف الكريم من قِبَل الفَقيه الدُّكتور ميشال كعدي، كبير أعضاء دار نَعمان للثَّقافة الفخريِّين، والمُستشار الأوَّل لـــ "لقاء الأربَعاء"، قبل أن ينبريَ الأب قاشا للكلام على دور المسيحيِّين في نهضة العراق الحديث.

وتميَّز اللِّقاءُ بالمداخلات والنِّقاشات الَّتي شاركَ فيها المِطران بولُس دَحدَح، والأستاذ موريس النَّجَّار وعقيلته، والأديب جان كمَيد، والشَّاعر النَّقيب أنطوان رعد، والأستاذان جوزف مسيحي وحبيب ياغي.

كما سُجِّلَ في اللِّقاء حضورُ الأب سامر نعمان البولُسيّ، والأخ روجيه عوَيس، ورئيس بلديَّة درعون-حريصا أنطوان الشّمالي، والنَّقيب فيليب الهيبي، والكاتب بالعدل الأستاذ شحادة اسكندر، والأديب إيلي مارون خليل، والأساتذة فرنسوا حدَّاد، جلال شربل، لبيب الشّمالي والسَّيِّدة عقيلته، إلى السَّيِّدات ماغي فريجة ونادين طربيه حشَّاش وكاتالينا القزِّي.

وقد جرى، في نهاية اللِّقاء، تسليمُ شهادة الاستِضافة من نَعمان إلى الأب قاشا، فنخبُ المناسبة، وكما العادة، توزيعٌ مجَّانيٌّ لآخر إصدارات دار نَعمان للثَّقافة.

لقاء
المُربّي والشّاعر موريس النّجّار

الأربَعاء ١٥ كانون الأوّل ٢٠١٠

الشَّاعرُ موريس النَّجَّار يعكِّفُ الجواهر

ميشال كعدي

هذا المُترَفُ بين العروضِ والبركارِ، صائغٌ، جعلَ من يواقيتِهِ باقاتٍ مفوَّفةً، ولقيَّاتٍ قَدموسيَّة؛ وأمَّا القواريرُ فمُعلَمةٌ باللآلئ ونَسَقِ الدّرِّ، وإذا به طاقةٌ علميَّةٌ وأدبيَّةٌ، تنضحُ بالعمق، وتفيضُ بجواهرِ الكَلِمِ، ومرقومِ العقلِ، والكنوزِ الرَّقميَّةِ المرصوفةِ على النَّغماتِ.

الشَّاعر موريس النَّجَّار.
خطَّ شِعرَهُ مُعكَّفَ البهاءِ على الورق وَمَدِّ الرّقاع، وأشعلَ لها مِن مخبَّآتِ القلبِ الجاسيةِ قربَ أَسانيدِ الكتُبِ، وقديم المعتَّقاتِ، وما خافَ على أَصابعِهِ مِن النَّارِ الحارقةِ. وإن أُصيبَتْ؟ عالجتها حبيبتُه بفتِّ المِسكِ المحمولِ من الأرضِ الدَّارينيَّةِ، وفُتاتِ العنبرِ، وما جَمَعَتْهُ جونةُ العطَّارِ، وَمِجْمَرَةُ الرّيحانِ، وبخورُ الباسقاتِ، وملاغمُ الشِّمالِ المطيَّبةِ بالعَبَقِ والوردِ، ومِن ثَمَّ يدعوكَ لتفاوحِ الأقحوانِ، وطرحِ المناديلِ بأقسامِها الهندسيَّةِ، والورق الَّذي يندى تحت سِحرِ الكلامِ والأصابعِ.
كلَّما صمَّمتَ أن ترافقَهُ، مِن مكانٍ إلى آخرَ، فينقلُكَ إلى حيِّزٍ على طرفِ يراعته الولوعِ بالإبداعِ والدِّقَّةِ، ثمَّ يأمرُكَ بحملِ الأزاميلِ إلى أمكنةِ قـاليري، والشُّعراءِ الرَّمزيِّين، وبلادِ فارس، وصَدى أصواتِ المُبدعين وأبعادِ الهندسةِ. وأمَّا موريس الشَّاعر فهو في الموقعِ المكينِ، وفلسفةِ المنطق والجمالِ، والكلماتِ الشُّهلِ، الَّتي يتبالغُ في حطِّها ورصفِها؛ وأمَّا التَّناهي فإلى البهاءِ.

هذا الشَّاعرُ.
لا أعرفُ عن أيِّ حُسنٍ أتكلَّمُ عليه فيه.

هل أتكلَّمُ على سياحتِهِ في طلبِ العشق؟ على سياحتِهِ في طلبِ الوطنِ والوِجدانيَّةِ؟ على ذوقِهِ الَّذي تفلَّجَ من الأقحوانِ، ومخاصرِ الدُّروبِ الَّتي أوكرَت فيها مِساحاتُ الرَّياحينِ، والأرضِ العاشبةِ، والرِّيح الهتوفِ، وما أنعمَ اللهُ على الشَّاعرِ من تصوير؟

لقد كَثُرتْ عالياتُ منافِهِ فوق القوافي والأَوزانِ؛ وأمَّا شقعُ التَّراكيبِ فقد سوَّاها حُلًى وأَوانيَ، ثمَّ تمكَّنَ مِن نقلِها بخطًى وئيدةٍ إلى المسالكِ الحرَّةِ، حيثُ المرأةُ، والفتنةُ، والزَّمانُ، وما التذَّتهُ بالممكنِ الحواسُّ الخمسُ، على أنَّ التَّجربة الجماليَّة مضاءَةٌ بشموعِ العباراتِ السِّمانِ، والكلماتِ العالياتِ المُرفدة بالمنطق وعلمِ القياساتِ.

هذا الجامعُ لأكثرَ من علمٍ، يعرفُ كيف ينهضُ بأوتارِ قيثارَتِهِ، ويعرفُ كيفَ يؤَاتي أشياءَه على مبتغاها، ويعرفُ أيضًا، كصانعي العطرِ، كيف يخلطُ الطُّيوبَ وينثرُها رذاذًا مطيِّبًا، تتقطَّرُ مِن الثُّغَرِ المنسوجةِ مِن الذَّهبِ المُصفَّى، والبرفير والأرجوانِ، ونِعمَ الجمالاتُ والأنوالُ.

هذا العروفُ يُدهشني بعُمقِ الانفعالاتِ النَّفسيَّةِ، فقد يطُولُكَ وَهْجٌ منه لا أعرفُ تفسيرَهُ.

فهو يُغالي ويتأنَّقُ كالبحتري، وأَبي تمَّام، حتَّى يغرقَ في مآلِ القولِ، وتواصلِ التَّعابيرِ، وقبل أن تتكلَّمَ، يناديكَ بنبرةٍ تجمعُ المعاني كلَّها لاختيارِ مفرداتِهِ الَّتي يَرميها بتؤدةٍ لعلَّكَ تُلاقي فيها لواعجَ الذِّكرياتِ الخفيَّةِ، فإذا أنتَ برفقتِهِ في مختلِفِ شؤونِكَ من ذاتِكَ؛ وأمَّا التَّوهّجُ فمن الوَجْدِ.

هذا الَّذي يعيشُ دائمًا على طفحِ الدَّواةِ وجَرِّ القَلَمِ، تَشْعُرُ معه باللَّهفةِ الحرَّى أَبدًا، عندما يُميرنُ كلماتِهِ في جرنِ معموديَّةِ العقلِ، ويطايبُ الأرديةَ المضمَّخةَ بالماءِ الكوثريّ، وكلُّ ذلكَ من دونِ أن يُبعدَكَ عن المناخاتِ الَّتي يرتئيها له، وتلك لَعَمري، مِن شيمةِ الشُّعراءِ الَّذين يمزجون بين العِلمِ والشِّعرِ، ولعلَّني أكتفي بمِثالٍ واحدٍ، عندما أتكلَّم على سعيد عقل المهندسِ الَّذي شالَ بالشِّعرِ إلى فوقُ، والفارابي، وعلماء العرب.

تلك مزايا الشَّاعر الموهوب، الَّذي يرشُّ مقوّلاتِهِ بما يُحيي الرَّميم، لتبقى القدرةُ في الجوَّانيَّةِ، واليراعةُ في الخطِّ الواعي.

موريس النَّجَّار.
يُبقيكَ في انتظارٍ مُفعمٍ، يومَ إقبالكَ على قولٍ مُنَغَّمٍ له، وكَم تقفُ صامتًا كما وقفتُ أَنا، عندما تراهُ يذهبُ عبر ضَنى الصَّنيعِ في الرّقاعِ الواسعةِ خلفَ الكلامِ الآتي من فاغيةٍ، وإن سألتَه لِمَ؟ يقولُ فورًا، أَوَتُريدُ أن تُبعدَني عن فعلِ الإنسانيَّةِ، ورُواءِ النَّفسِ، وتجارةِ القلائدِ، واللَّفظةِ الحالَّةِ، وأَعطافِ النَّعيم؟

هذا الثَّقيفُ، القادرُ.
سَلِمت دواوينُهُ مِن العُقَدِ، وكذلك نثرُهُ، كما البرودُ المَوشِيَةُ، وقد تَجِدُ نفسَكَ تُجاهَها معفيًّا مِن التَّعبِ.

موريس.
سلِمَت يداكَ.

لأنَّه أبي!

لارا موريس النَّجَّار

لأنَّهُ أبِي، وَلأنَّهُ ضوْءٌ، حَيْثُ عَبَر، فَإنَّنِي أُحِبُّه.. لأنَّهُ مِثَالٌ، نَدَرَ نَظِيْرُهُ، فَإنَّنِي أُحِبُّه.. أرْسُمُ الكَلِمَاتِ وُرُودًا، تَحِيَّةً لَهُ..

لأنَّهُ أبِي!
أقِفُ، اليَوْمَ، فِي حَضْرَتِكُم، أيُّهَا المُحِبُّونَ، أسِيْرَةَ حُبِّي لَهُ، وَامْتِنَانِي العَمِيقِ لَكُم..
فَمَا تُرَانِي أقُول؟!
فِي مَدَارِجِ عُمْرِي وَقَفْتُ، وَلَمَّا أزَل، شَامِخَةَ الرَّأسِ، مَسْكُونَةً بِالعَبِيرِ، وَأنَا أعِيْشُ في هَالَةِ مَنْ أحْبَبْتُ، وَفِي كَنَفٍ ضَمَّ آمَالِي، وَصَبَوَاتِي، وَكَانَ دِفْئًا، وَحُبًّا، وَشَمَائِل.. فِي مِسَاحَاتِ عُمْرِي، حَمَلْتُكَ، يَا أبِي، صُورَةً تُدَغْدِغُ أجْفَانِي بِالرُّؤَى، فِي كُلِّ غُدُوٍّ، وَأنِيْسًا، طَيِّبَ السَّمَرِ، في كُلِّ أصِيْلٍ، وَطَيْفًا وَرْدِيًّا في رَحِيْلِ أجْفَانِيَ الوَسْنَانَةِ إلى عَالَمِ الرُّؤَى، وَالأَحْلام..

أبِي!
سَتَبْقَى، مَا طَالَتِ الدَّرْبُ، مِثَالِيَ، الأحَبَّ، وَرَفِيقِيَ، الأخْلَصَ، فِي فَرَحِي، وَفِي تَرَحِي، وَسَتَبْقَى البَسْمَةَ عَلَى ثَغْرِي، وَالدَّلِيلَ، الأمِينَ، إلَى الوَاحَاتِ، وَالمَنَابِعِ النَّقِيَّة.. كَيْفَ لِي أن أكَافِئَك، وَزَغَبِي مِن جَنَاحِك، وَنَجَاحِي مِن مَعِينِك، وَزَادِي مِن جَنَاكَ الطَّهُور..
فِي تَكْرِيمِكَ، اليَوْمَ، لَيْسَ إلاَّ حُبِّي يَفِيكَ، أضُمُّهُ إلَى بَاقَةِ وَجْدٍ مِن أخْتِيَ البَعِيْدَةِ، البَعِيْدَة، وَمِن أحَنِّ أمٍّ لِي، وَأحَبِّ رَفِيْقَةٍ لَكَ، بَقِيَت، أبَدًا، سَنَدَكَ الأصْلَبَ، في وَعْثَاءِ الدَّرْبِ، وَأليفَكَ، الآثَرَ، في أوَيْقَاتِ التَّوْق، وَالشَّوْق، وَالحَنِين..

أدَامَكَ اللهُ لَنَا، يَا أبِي، مِثَالاً في الكِبْرِ، وَفَارِسًا مَا كَبَا جَوَادُهُ، وَمَا كَلَّ سِنَانُه..

إِنْتـُزِعَ من فمِ التـِّنـِّين

موريس النَّجَّار

أيُّهَا الإخْوَةُ الكِرَام!

هَلْ أصْبَحَ الحَرْفُ يَتِيمًا في بلَدِي؟!
هَل بَاتَ مَن يَنتَضِي القَلَمَ، وَيُوَشِّي الصَّحَائفَ بِالجَمَالاتِ، مِنْ بَقَايَا المَاضِي، في هَذَا الزَّمَنِ الَّذي كَرَّسَ الإعْلامَ الفَاجِر، وَالإعْلانَ التَّاجِر، لاتَهُ وَالعُزَّى؟!
هَلْ بَاتَ عَلَى المُبْدِعِ، في بَلَدِ مَرْقَدِ العَنْزَةِ، أنْ يَلْهَثَ لُهَاثَ المُتَوَقِّلِ جَبَلاً لِيَحْظَى بِقُوتِ الجَسَدِ، وَأنْ يسْتَرِقَ الأُوَيْقَاتِ، يَخْلُو فِيهَا إلَى يَرَاعِهِ، لِيَبُثَّهُ قُوْتَ الرُّوحِ، وَمَدَدَ الحَنَايَا؟!
قَدْ تَكُونُ الصُّورَةُ مُرْبَدَّةً، وَلَكِنَّ أمْثَالَكُم، مِمَّنْ يُضِيؤنَ أمْسِيَاتِ الكَلِمِ، يَقُضُّونَ بَعْضَ الحُلْكَةِ، وَيُنَدُّونَ اللَّيْلَ بِالرُّؤَى، وَعَبِيرِ المِحَابِر!..

أيُّهَا الإخْوَةُ!

يَوْمَ شَرَّفَنِي الأديبُ، المَهْجُوسُ بِالثَّقَافَة، الأستَاذُ نَاجِي نعمَان، مُعَزِّزًا بِثَنَاءٍ أخَوِيٍّ صَادِقٍ مِنَ الأديبِ الدُّكتُور ميشَال كعْدِي، بِدَعْوَتِي لِلوُقُوفِ عَلَى مِنْبَرِهِ الرَّفِيعِ، فِي عِلْيِ مِنَ القَومِ، تَوَقَّفْتُ، هُنَيْهَاتٍ، مُوَاجِهًا نَفْسِي، مُطَوِّفًا في مَسِيرَةٍ، طَوِيلَةٍ، مِنْ حَيَاتِي، أرْبَت عَلَى العقودِ الأرْبَعَة، جَالَدْتُ فِيهَا الرَّقْمَ، وَشُجُونَهُ، لأحُطَّ بِهِ، عَلَى فَجَاجَتِهِ، طَرِيًّا، شَجِيًّا، نَقِيًّا، فِي عُقُولٍ تَتَخَلَّقُ، خَامًا، هَيُولَى.
مَسِيرَتِي، هَذِهِ، لَمْ أدَعِ الرَّقْمَ يَطْغَى عَلَيْهَا، فَيَسِمَهَا بِطَابَعِهِ الذَّاوِي، الرَّصِينِ، فَكُنْتُ أصَارِعُهُ، مُتَيَمِّنًا بِقَوْلَةِ الأديبِ الكَبِيرِ سَعِيد تَقِيِّ الدِّين:
"لَيْسَ المُهِمُّ أنْ تَصْرَعَ التِّنِّين، بَل أنْ تُصَارِعَه".

وَلَكَمْ حَالَفَنِي سَعْدِي، فَكُنْتُ أصْرَعُهُ، أحْيَانًا، فَأنْفَلِتُ من رِبْقَتِهِ المَكِينَةِ، وَأنْتَهِزُ الخَلْوَةَ المُبَارَكَة، في دُنْيَايَ الأثِيرَة، دُنْيَا الأدَبِ، وَالشِّعْرِ، وَوَاحَاتِ المُلْهَمِين. فَكَانَ لِي نِتَاجٌ مُتَوَاضِعٌ، مِنْ فَضَائِلِهِ أنَّهُ انْتُزِعَ من فَمِ التِّنِّين؛ وَحَسْبِي، مِنْهُ، أنَّهُ مِنْ نَبْضِ رُوحِي، وَمِن خَلَجَاتِ نَفْسِي، في سَوَانِحِ الوَجْدِ، وَالحَنِين...

الرَّقْمُ! وَيْحِي مِنْهُ، وَمِنْ طُغْيَانِه!
هُوَ مَالِىءُ أَهْرَائِي بِضَفْوَةِ العَيْشِ، وَمَانِعُ قَلبِي مِنْ أَسْفَارِهِ إِلَى جِنَانِ عَبْقَرَ، وَجَزَائِرِ الحَالِمِين...
حَنَانَيْكَ رَبِّي! فَأَنَا مُصَابٌ بِلَوثَةِ الحَرْفِ؛ فَآنَ يَحْلُمُ المَلأُ بِالهَنَاءَاتِ العَرِيضَةِ، أَتَشَهَّى سَاعَةً لا تَأْخُذُنِي فِيهَا المَشَاغِلُ، أَسْتَغْرِقُ، مَدَاهَا، كِتَابًا أَثِيرًا، وَأَطُوِّفُ، عَلَى جَنَاحِ الفِكْرِ، فِي رِيَاضِ الإِبْدَاعِ، صَقَلَتْهُ، وَأَرْهَفَتْهُ، رِيْشَةُ أَدِيْبٍ مِن أَنْجِيَةِ الرُّوح.
بَيْدَ أَنَّ الرَّقْمَ الَّذِي رَافَقَنِي، فِي مَدَارِجِ عُمْرِي، لَجَّاجٌ، لا يَرْعَوِي، عَنِّي، وَلا يَسْتَرِيح.
يَشُدُّنِي، إِلَى مَعْمَعَانِهِ، فَأَسْتَرِقُ، فِي غُدُوِّي، وَآصَالِي، نظْرَةَ العَاشِقِ المُبْعَدِ، قَسْرًا، عَن هَوَاه، إِلَى كُتُبٍ، غَضَّةِ الرَّفِيفِ، تَسْتَوِي، عَلَى رُفُوفِي، حُبْلَى بِالطَّلاوَةِ، وَالمَعْرِفَةِ، وَأَمُرُّ، كَاسِفَ البَالِ، صَاغِرَ العَزِيمَةِ، إِلَى عَمَلِي اليَوْمِيِّ، النَّمَطِيِّ، المُضْنِي..
.. وَهَا الأَيَّامُ تَنْزَلِقُ، سِرَاعًا، فَيَخِطُنِي الشَّيْبُ، وَلَكِنِّي أَسْتَلُّ، مِن كُنُوزِ المُبْدِعِينَ، ذَخِيرَةَ قَلْبٍ، وَخَمِيرَةً، غَدَت، فِي مِعْجَنِيَ الرَّقِيق، وَقَدْرَ مَا سَنَحَتِ اللَّيَالِي، أَرْغِفَةَ خَيْرٍ، وَرِقَاعًا وِضَاء..
تُرَانِي أَكَرَّمُ، اليَوْمَ، عَلَى جَنًى وَفِيرٍ مِنَ العِلْمِ، زَوَّدْتُ بِهِ طُلاَّبِي، هَذِهِ السِّنِينَ الطِّوَال، أَمْ عَلَى مَا دَبَّجَت يَرَاعَتِي فِي حُقُولِ الكَلِمِ المُرَصَّعِ بِالبَهَاء!

وَمَهْمَا يَكُنِ الغَرَضُ، فَشُكْرِي، لِلمُكَرِّمِينَ، فِيهِ مِن نَبْضِ فُؤَادِي، وَمِمَّا اغْرَوْرَقَت بِهِ مُقْلَتَايَ...
صَدِيقَنَا، الأُسْتَاذ نَاجِي نعمَان، يَا مَن التَزَمتَ العَمَلَ الدَّؤُوبَ فِي الشَّأْنِ الثَّقَافِيِّ، فَلَم تَبْخَل بِالوَقتِ، وَالجُهْدِ، وَالعَطَاءِ، مُقَدِّرًا المُبْدِعِينَ، حَصَادَهُم، وَاضِعًا دَارَكَ العَامِرَةَ فِي خِدْمَةِ أَقْلاَمِهِم، غَيْرَ مُرْتَجٍ بَدَلاً، أَوْ شُكْرَانَا.

أَيُّهَا الأَدِيبُ الرُّؤْيَوِيُّ، يَا مَنْ تَحُوكُ نَسِيجَكَ بِالبَيَانِ الجَمِيلِ، وَالرِّقَّةِ، وَالصَّفَاءِ، حَبَّذَا لَو يُتَاحُ لَنَا النَّدَرَى مِنْ أَمْثَالِكَ، لِنَجْهَرَ بِالقَوْلِ: نَحْنُ أَبْنَاءُ الأَبْجَدِيَّة.
لَكَ مِنَّا الامْتِنَانُ العَمِيق، المُنَدَّى بِالمَحَبَّةِ الوَافِرة، فَنُعْمَاكَ، أَيُّهَا النُّعْمَان، أَنْصَعُ مِنْ دَمْعَةِ الفَجْرِ عَلَى النَّوْرِ الأَرِج.
يَا صَاحِبَ الأَرِيْحِيَّةِ، أَدَامَكَ اللهُ عَلَى العَطَاء، وَلْيَبْقَ كَنَفُكَ وَاحَةً لِكُلِّ يَرَاعٍ يَزرَعُ البَدْعَ، وَالبَهَاء...

وأَمَّا الصَّدِيقُ، القَلَمُ الذَّهَب فِي الرُّقْعَةِ الصَّبِيْحَة، الدُّكتُور مِيشَال كعْدِي، فَمَا تُرَانِي أَقُولُ فِيه، أَنَا مَن يَنْتَشِي عِنْدَ قِرَاءَتِهِ، وَعِنْدَ سَمَاعِهِ، فَيَخَالُ أَنَّ اللَّيْلَ قَد زَادَت نُجُومُهُ، وَأَنَّ الأُفُقَ قَد تَزَيَّا، أَبْهَى، بِالقِرْمِزِ، وَالجُلَّنَار...
هُوَ ذُرْوَةٌ مِن ذُرَانَا السَّامِقَات، وَهَامَةٌ أَثْقَلَهَا الفِكْرُ، وَتَوَّجَهَا التَّوَاضُعُ، وَالمَحَبَّةُ، وَالإِبْدَاع.
يَعْتَلِي المِنْبَرَ، فَالمِنْبَرُ فِي بُحْرَانِ سِحْرٍ، وَالخَشَبَاتُ أَضْلُعٌ وَلْهَى، وَالمَسَامِعُ إِلَى سَكَنٍ غَامِر.

وَهوَ النُّزُوعُ، أبَدًا، إلَى الأدَبِ الحَقِّ، يَجُودُ بِالرَّصَائِعِ، حَيْثُ تَعِجُّ السَّاحُ بِالنِّتَاجِ الهَجِينِ، وَالشِّعْرِ المَمْسُوخِ، اخْتَلَطَ زُبْدُهُ بِخَاثِرِهِ، وَضَاعَ، فِيهِ، المِيزَانُ، وَالغَرَض.

فَنِعْمَ مَا أدَبُه، عَنْدَلَةٌ في يَرَاع، وَحَفِيفُ غَزَّارٍ، وَقُرْطَاسٌ يَمُورُ في قُشَعْرِيرَةِ نَشْوَة، فَكَأنِّي بِهِ *"مِنْ بَهَاءِ حَضْرَتِهِ، يَشْتَعِلُ جَمْرُ نَار"*، كَمَا جَاءَ في الكِتَابِ المُقَدَّس..

حَبَابَكَ، يَا رَعَاكَ اللهُ، أنْ تُجْهِدَ القَلَمَ، أبَدًا، فَلُهَاثُهُ، عَلَى بَنَانِك، مِنْ شَمِيمِ الأقَاحِ، في السَّهْلِ المُمْرِع..

لَكَ مَوَدَّتِي الخَالِصَة، يَا صَدِيقِي، وَثَنَائِي عَلَى كُلِّ مَا دَبَّجَتْهُ رِيشَتُكَ المِعْطَاء، مِن جَمَالاتٍ، جَعَلَت مِنكَ طَوْدًا ثَبِيتًا في دُنْيَا الأدَب، وَمَنَارَةً دَفَّاقَةَ الإشْعَاعِ، وَالتَّنْوِير...

وَيَا أيُّهَا الصَّحْبُ، شُكْرِي لَكُم أقُدُّهُ مِنْ شَغَافِي، فَقَد حَمَّلْتُمُونِي جَمِيلاً لا يَخْبُو، وَمِنَّةً أصْفَى مِن قُلُوبِ الأطْفَال، إذْ تَكَبَّدْتُم عَنَاءَ المَجِيءِ، بَعْدَ نَهَارٍ مُثْقَلٍ بِالمَشَاغِلِ، تَطِيبُ إثْرَهُ المَنَاعِمُ، في الخِدْرِ الكَنِين**...

***

هذا، وكان ناجي نَعمان رَحَّبَ بالحضور وبضَيفه موريس النَّجَّار، ثمَّ جرى تقديمُ الضَّيف الكريم من قِبَل الفَقيه الدُّكتور ميشال كعدي، كبير أعضاء دار نَعمان للثَّقافة الفخريِّين، والمُستشار الأوَّل لـــ "لقاء الأربَعاء"، قبلَ أن تُلقيَ الفنَّانة التَّشكيليَّة لارا النَّجَّار عاطِفَةً بَنَويَّةً في أبيها الَّذي انبرى بعدها يتكلَّمُ على مسيرته مع الحَرف، ويُلقي باقةً من أحلى شِعره.

ثمَّ جرى نقاشٌ مع الضَّيف المُكَرَّم، وارتجَلَ الشَّاعرُ الياس خليل فيه الآتي:

يا موريس مـــن التَّقديـــر بقصايدَك نلت الإعجاب
شعرَك من رَوض التَّفكير مطـــرَّز بحبوب العنَّاب
نيَّـــالَـــك نجَّـــار كبيـــر نَجَّـــرْت خزانـــة آداب
عقلَك فيها أغنى كتـــاب

* الكتَاب المُقَدَّس، العَهد القَديم، سِفْر المُلوك الثَّاني، الفَصل ٢٢، الآيَة ١٣.

** إنبرى الشَّاعرُ الضَّيفُ، بعد نهاية كلمته، يُلقي من رائع شِعره على الحضور. ويُذكرُ أنَّ باقةَ الشِّعر الَّتي ألقاها، بالإضافة إلى قصائد أخرى، جَرى نشرُها في ديوانٍ صادرٍ عن دار نعمان للثَّقافة يحملُ عنوانَ "نجوى المُنحنى".

وتميَّز اللِّقاءُ بحضور حَشدٍ من مُحِبِّي الثَّقافة والشِّعر، فسُجِّلَ وُجودُ كلٍّ من الأدباء: الدُّكتور دياب يونس، الدُّكتور أنيس مسلِّم، جان سالمة، جان كمَيد، جوزف مهنَّا، نظمي أيُّوب؛ والمؤلِّفين: حكمت حنين، حنَّا ديب، عماد فغالي، نبيه حدَّاد؛ والشُّعراء: النَّقيب أنطوان رعد، الدُّكتور طوني الحاج، ناجي يونس، قزحيَّا بطَيش؛ والشَّاعرة والفنَّانة التَّشكيليَّة باسمة بطولي؛ والمحامي الشَّاعر ريمون عازار؛ والأبوَين، العلاَّمة سُهَيل قاشا والدُّكتور عبدو أنطون؛ والإعلاميَّين الأديبَين جورج مغامس وكمال نخلة؛ والعمداء: خير فرَيجة، إيلي جرُّوش، سُهَيل خوري؛ والمحامين: نبيل بو عبسي، جوزف رحمة، خليل نادر؛ والأساتذة: إدمون كيروز، جوزف مسيحي، جوزف صفير، جورج نجَّار، أنطوان قسِّيس؛ إلى السَّادة: سمير رحمة، أنطوان كيروز، أنطوان فاضل، شربل عقل؛ ومن الجنس اللَّطيف: ليليان كيروز وماغي فريجة.

وجرى، في نهاية اللِّقاء، تسليمُ شهادة الاستِضافة من نَعمان إلى النَّجَّار، فنخبُ المناسبة، وكما العادة، توزيعٌ مجَّانيٌّ لآخر إصدارات دار نعمان للثَّقافة.

لقاء
المُربِّي والشَّاعر أنطوان رعد

الأربَعاء ١٩ كانون الثَّاني ٢٠١١

الشَّاعر أنطوان رعد، جامعُ شتَّى أنواعِ التَّـنوُّق

ميشال كعدي

تقاسيمُهُ تهبُّ على وَقْعِ شِعرِه والهَزجِ المُطربِ، وهزيمِ الرَّعدِ، بينما نغمُ الوترِ ومَقامُ العِشق في بَحَحٍ، أَوَانَ الطَّوافِ في معابرِ الهوى، للتَّفتيشِ عن مريولِ غنوجٍ، ووردٍ عاتبٍ، وزندِ شاعرٍ يلفُّ على خصرٍ مِن دونِ حياءٍ على مقعدِ الجامعةِ.

شِعرُ النَّقيب أنطوان رعد، يبلغُ الخوالجَ.
إذا رقَّ أفصحَ بُعْدَ الكَلِم واحلولى.
وإذا صَلُبَ غَرَزَ برفقٍ إبرةَ الوشمِ ليأنسَ بمُبشِراتِ الطَّائرِ المِصْواتِ في الرِّيحِ، والدَّم المنتصرِ على الحربِ والرِّماحِ الغادرةِ.
على أنَّني إخالُهُ في قصائدِه كالعذريِّ الآتي مِن سَفْرَةٍ سِندباديَّةٍ، وفي جعبتِهِ أحاديثُ يرويها عن عابرةٍ، تعتَّقَ في فمِها نبيذٌ بغداديٌّ، بابليٌّ، تعلوها قنطرةُ الياسمينِ، وتحميها جدرانُ الكرنكِ ونواضحُ الطِّيب.

هذا الشَّاعرُ قصدتُ مملكتَه السَّعيدةَ، يومَ كانَ مُشبلاً على أولادِ النَّاسِ، إبَّانَ تلكَ الفترةِ مِن حياتِهِ، عَرَفْتُ الأُبوَّةَ في أبهى معانيها، حيثُ كانَ أَوقرُ مِن رَضوى، وهو العروفُ بالتَّربيةِ وخزائنِ الأدبِ.
وعندما عدتُ إلى كلماتِهِ المرقومةِ على التَّقاسيمِ، شدَّتني الكلماتُ العيناءُ الَّتي لا يفوتُها الحسنُ، فتراءت لي المرأةُ في شعرِهِ موحيةً وشاعرةً في العتمةِ الخرساءِ، ثمَّ لاحَ في أُفُق الجمال بناتُ العدواني، وضاحيةُ الهلاليَّة، وعريبُ البغداديَّة، ونزهونُ الغرناطيَّة، وولَّادة. وأمَّا قصيدةُ النَّقيب فتنتهي على تنوُّعٍ، وإغراءِ طبيعةٍ ملــؤها الفتون، وعلى الفور تشعرُ بتفاعلاتٍ شتَّى، فترقُّ اللَّفظةُ كما تشاءُ

المشاعرُ، وتحلو تقاسيمُ العشق، على مقاماتِ الموصلِّي، والأوجه الثَّلاثةِ: النَّصْب، السِّناد، الهزج.
وفي غمرةِ التَّفاعلِ يُقبِلُ عليكَ الشَّاعرُ أنطوان رعد، وعلى جبهتِهِ السَّمراءِ عنفوانُ من صاولَ القَدَرَ، وواثبَ اللَّيالي، وصامدَ في سبيلِ الكرامةِ.
وإذا طابَ وَقْعُ الشِّعرِ في فيه، غَنَّى، وفي عينيهِ لُمَعُ خبيرٍ يمتازُ ببريقِ متجدِّدٍ وارتياد.

أنطوان رعد.
سائِحٌ في طلبِ الجَمالِ.
سائِحٌ يجمعُ الحُبَّ المَنسيَّ، والقُبَلَ الـــپـــاريسيَّةَ.
سائِحٌ شاهدَ سقوطَ قناعِ شهريار، ومرآةِ الحبِّ الجريحِ.

في أيِّ حال.
كَثُرَتْ مشارفُهُ على الرِّيشةِ، والشِّعرِ والأَدَبِ، ولعلَّ أَغزالَهُ في منتهى الدِّقَّةِ، بلِ الرَّوعةِ، تتحرَّكُ في زمنِ التَّفاوحِ الطَّيِّبِ، ونقاوةِ الرَّياحينِ والأرضِ العاشبةِ الكريمةِ المِنباتِ.
ولَكَمْ أَراهُ مِن شَغَلَةِ الحريرِ، ومحرِّكي الأَنوالِ العاملينَ على مهلٍ بالألوانِ والجُودةِ.
لقد مَهَرَ في اختيارِ التَّراكيبِ، حتَّى غدا عملُهُ الشِّعريُّ دعوةً بنَّاءةً على نَبْضِ الهدوءِ والخفاءِ العذبِ، وحسبُهُ الواقفُ على قناعةِ ما يقولُ، ثمَّ جاوزَ المتعةَ، وما كانَ بعيدًا عن لهوِ مشتاقٍ، ففي لعبةِ المرايا، عَامتِ الرُّؤى، وكنوزُ الصَّدر ورخامُ النَّهدَينِ، وهذا حالُه في *"خزائنِ الدَّمع"* و*"السِّرّ الضَّائِع"* وغير ذلك...
غزلُهُ ككلِّ شِعرِهِ سواءٌ كان في *"المملكةِ السَّعيدة"* (قصائد للصِّغار)، أو في دواوينِهِ كافَّةً.
ولَكَم لاحظتُ أنَّهُ يحاولُ ألاَّ يُشرِكَ القارئَ بألمِهِ، فهو يُفضِّلُ أن يبقى بعيدًا على حسابِ أعصابِهِ ليستمرَّ مغمورًا بالفرحِ، في وقتٍ يترُكُ أَوصابَه تُكمِلُ، ثمَّ يحوِّلُها طاقةً حيَّةً، فمن هنا لا تشعرُ فيه إلاَّ قوَّةٌ هانئة، مطمئنةٌ إلى الأجمل.

وهو في هذا الغمرِ، يجيبُكَ دائمًا عن الأمنياتِ، الَّتي تراودكَ، ثمَّ يشيلُ بكَ إلى أطرافِ العذارى، والوُدِّ، فتُحِسُّ أنَّكَ معه في مختلِفِ شؤونِكَ مِن حالِكَ.

أنطوان.
جامعٌ شتَّى أَنواعِ التَّنوُّق، ووجوهِ الرُّواءِ.
فهو يلتقي في ما يكتبُ، باكتمالِ عنصرِ الذِّكرى، من دونِ أن يَنسى الحالَ ورؤيا المحتمل.
ويستمرُّ معه فعلُ الخَلْق، حتَّى يَندى الورقُ تحت أَناملِهِ. وأمَّا نحن فنستمرُّ بدورِنا على غيرِ ضيقٍ، نتنشَّقُ في صحائفِهِ أطيابًا تمسحُ العيونَ، والوردَ المفوَّفَ، والبريقَ وما أَنعمَ اللهُ مِن مودَّاتٍ على الشِّعرِ.

هذا العائدُ من رِحْلاتِهِ.
هذا الزَّارعُ مواويلَ الأرزِ في العراق والكويت، والجزائرِ والمغربِ وتونس، وليبيا والبحرَين، والمكسيكِ وبلغاريا وتشيكوسلوڤـاكيا سابقًا وفرنسا.

هذا السِّندبادُ.
ملأً كأسَه مِن ثُغَرِ الحُجُبِ، وماءِ الوردِ، والمسحوق المطيَّبِ، حتَّى بتنا معه في رَغَدٍ مِن الشِّعرِ والكلماتِ الكيِّسةِ.
وإِذا كان الشِّعرُ وصولاً، فأنطوان رعد، سَبْقٌ وتصعيدٌ. ولأَنَّهُ كلُّ الشَّاعرِ، راحَ على ضنى الاحترافِ يشدُّ في مجالاتِهِ، حتَّى غدا مِن أهلِ صناعتِهِ.

أَهلاً بكَ في دارِ نَعمانَ للثَّقافة، ضيفًا عزيزًا، نُعطي معًا قلائِدَ القولِ بالمجَّانِ مع "مجنونِها"...

القصيدةُ عَصِيَّةٌ على الاغتِصاب

أنطوان رعد

أيُّها الأعزَّاء،

المشهدُ الـــپـــانوراميُّ للشِّعر العربيِّ حاليًّا، يتوزَّعُ على الوجه الآتي: شعراء القصيدة الكلاسيكيَّة، وشعراء التَّفعيلة، أو ما يُعرف بالشِّعر الحرّ، وشعراء قصيدة النَّثر. وتشهدُ السَّاحةُ الشِّعريَّةُ صراعًا ضاريًا بين أتباع الفريق الأوَّل والفريق الأخير يصلُ أحيانًا إلى حدِّ استخدام السِّلاح الأبيض. وانطلاقًا من هذا الواقع، أنا لستُ هنا اللَّيلةَ لتلاوة "مانيفست" شعريٍّ يتَّسمُ بنظامٍ صارمٍ يلتزمُه الشَّاعر، وكلُّ مَن يخرجُ على هذا النِّظام، يُعتبرُ شاعرًا مارِقًا، ومَرَدُّ ذلك إلى أنَّني مع ديموقراطيَّة الجمال، وضدّ ديكتاتوريَّة النَّسَق الشِّعريِّ الواحد؛ ناهيك بأنَّني ضدّ الأصوليَّات سواء كانت دينيَّةً أم سياسيَّةً أم فنِّيَّة، فكيف إذا كانت الأصوليَّةُ فنِّيَّةً تكفيريَّةً لا يتَّسعُ صدرُها لقَبول الآخر، بل تسعى لإلغائه بكلِّ ما تملك من أسلحة، متوسِّلةً شتَّى أنواع الإرهاب الفكريّ، متجاهلةً أنْ ما مِن شاعرٍ عظيمٍ عبرَ التَّاريخ ألغى شاعرًا عظيمًا، وما مِن موسيقيٍّ مُبدعٍ ألغى موسيقارًا مُبدعًا، وما مِن فنَّانٍ تشكيليٍّ كبيرٍ ألغى فنَّانًا تشكيليًّا كبيرًا، متناسيةً أنَّ عطر الوردة الفوَّاح لا يحجبُ شذا البنفسجة الغامض الخجول، ولا يُغني عن أريج الياسمينة الرُّومانسيّ.

أيُّها الأعزَّاء،

لَئِن كنتُ ضدَّ شعراء القصيدة العَموديَّة الَّذين يجدون قصيدة النَّثر هرطقةً شعريَّةً، فأنا، بكلِّ تأكيد، ضدّ شعراء قصيدة النَّثر الَّذين يُسقطون القصيدة الكلاسيكيَّة من حساب الشِّعر على أنَّها لغوٌ أو هراء، حتَّى ليصحَّ في هؤلاء قولُ الشَّاعر:

"يرضى القتيلُ وليس يرضى القاتل..."

ولعلَّ مردَّ هذا التَّطرُّف في المواقف يعودُ إلى أنَّنا درَجنا على جَعل الشِّعر كلامًا موزونًا مقفًّى وَفقًا لما حدَّده القدماء. وهذا التَّحديدُ إهانةٌ للشِّعر وتجديفٌ عليه: فالوزن والقافية وحدَهما لا يكوِّنان موسيقى الشِّعر، ولا يحدِّدان وحدَهما هُـــويَّةَ الشِّعر، إذ ثمَّة عناصرُ أخرى كالعـــاطفة

والخيال والموسيقى، فضلاً عن سائلٍ خفيٍّ هو النَّسغُ الشِّعريُّ الَّذي يتفجَّرُ دماءً خضراء في عروق الكلمات، وهذا السَّائلُ الخفيُّ هو المادَّةُ الشِّعريَّةُ الَّتي تولِّدُ في النَّفس رعشةً سحريَّةً غامضة، وتُحدثُ نشوةً حلالاً تحملُنا على أهداب كلمةٍ أميرةٍ إلى أقاليم الدَّهشة وأصقاع الذّهول. وهذه المادَّةُ الشِّعريَّةُ لا تُحدَّدُ ولا يُدرَكُ كنهُها بالضَّبط، فهي الكوثرُ والسَّرابُ معًا. هي الكوثرُ بما تتركه في نفس المتلَقِّي من أثرٍ منعشٍ عذب، وهي السَّرابُ الَّذي يوهمنا بأنَّه سيروي ظمأنا فنجري وراءه ونبقى عطاشًا.

الكلام المَوزون المُقَفَّى يَفي بماهيَّة النَّظم، لكنَّه لا يلامسُ جوهر الشِّعر. في النَّظم لا تتعدَّى الكلماتُ الحدود المرسومة لها في المعجم، ولا تستطيع اللَّفظة أن تخرجَ من إهابها، وأمَّا في الشِّعر، فإنَّ المدادَ يتحوَّلُ ضوءًا سائلاً، والكلماتِ تخلعُ جلدَها، وتتمرَّدُ على حدودها، وتشقُّ عصا الطَّاعة على العاديِّ والمألوف، لتغدوَ جمرًا يُزهرُ على أصابع الشَّاعر. ولذا، من المُستَحسن أن نقومَ بمقاربة الشِّعر لا أن نسعى لتحديده، لأنَّ الشِّعرَ يحتملُ الشَّيء ونقيضَه، فأنت تُعجَبُ بالبساطة والوضوح في الشِّعر كما في هذا البيت لأبي نوَّاس:

يـزيـدُكَ وجـهُـه حُسنـًا إذا مـا زِدتَـه نَـظَـرا

كما تُعجبُ بالغموض والتَّعقيد في الشِّعر كما في هذه الأبيات لأبي نوَّاس عَينِه:

فَاسقِنِـي البِكـرَ الَّتي اختمَـرَتْ بِخُمـارِ الشَّيـب فـي الرَّحِـمِ
عُتِّقَـتْ حتَّى لَـو اتَّصلَـتْ بلِسـان نـاطـق وفَـمِ
لاحْتَبَـتْ في القَـوم مائلَـةً ثـمَّ قصَّـتْ قصَّـةَ الأَمَـمِ

إلاَّ أنَّ الإسرافَ في الوضوح كالإسراف في الغموض، كلاهما يغتالُ الشِّعر... ولعلَّ أروعَ الشِّعر هو ما كان واضحًا على بعض غموض، غامضًا على بعض وضوح، يقيمُ فيه الشَّاعر فوق خطوط التماس بين الوعي واللاَّوعي، بين اليقظة والحلم، ويشهدُ القارئ زفاف العقل إلى الجنون في معبدٍ حجارتُه من مقلع العاطفة، وأعمدتُه من مقلع الخيال، ولكنَّ عقد الزَّواج هذا باطلٌ إذا لم تتمَّ مراسمُ الزِّفاف على يد كاهنة تُدعى الموسيقى. إنَّ الفرقَ بين النَّثر والشِّعر ليس فرقًا في الشَّكل بل في المناخ؛ ولذا، كان جبران شاعرًا في نثره أكثر منه في شعره. وأمَّا ابن مالك في ألفيَّته فقد اعتمد الشِّعرَ لتعليم قواعد العربيَّة، فأردى الشِّعرَ.

يقولُ اللُّرْد بَيرون، في معرض حديثه عن المرأة: النِّساء كالقلاع، منهنَّ مَن يستسلمنَ من دون قيدٍ أو شرط، ومنهنَّ مَن لا يسقطنَ إلا بعد حصارٍ طويل، ومنهنَّ مَن لا يؤخذنَ إلاَّ عنوة. واستطرادًا، يمكنُ إلى حدٍّ بعيد إسقاطُ هذا القول على الشِّعر، فثمَّة قصائدُ تُسلِسُ قيادَها للشَّاعر وللقـارئ على حدٍّ سواء، فتستسلمُ للأوَّل من دون عنـاء، وتكشفُ للثَّاني مفاتنَها بعد القراءة

الأولى؛ وثمَّة قصائدُ تُعاندُ الشَّاعرَ والقارئ، فيحتاجُ الشَّاعر إلى محاولاتٍ شتَّى لتَرويضها وصياغتها، كما يحتاجُ القارئُ إلى أكثر من قراءة للإحاطة بأسرارها والاستيلاء على كنوزها الدَّفينة، لكنَّني أجزمُ على نحوٍ قاطعٍ أنَّ القصيدة لا تؤخَذُ عنوةً لأنَّها عَصيَّةٌ على الاغتصاب.

أيُّها الأعزَّاء،

خلال مسيرتي الشِّعريَّة على امتداد نصف قرن، كتبتُ القصيدة الكلاسيكيَّة، ولا أزال، وبعضَ قصائد النَّثر، وشعر التَّفعيلَة، وأنا أرتاح إلى هذا اللَّون الأخير لأنَّ الشَّاعر فيه هو المؤلِّفُ الموسيقيّ، وهو العازف، وقائدُ الأُركِسترا، في آنٍ واحد.
وإيمانًا منِّي بأنَّ الكتابةَ عن الشِّعر أصعبُ من كتابة الشِّعر، سأتلو على مسامعكم نماذجَ من قصائدي في هذه الألوان الثَّلاثة، وأسمحُ لنفسي قبل البدء بذلك أن أتوجَّهَ إلى المُتَزَمِّتين من شعراء القصيدة الكلاسيكيَّة قائلاً: قليلاً من رحابة الصَّدر، والى الطَّواويس من شعراء قصيدة النَّثر: قليلاً من التَّواضع. *

***

هذا، وكان ناجي نَعمان رَحَّبَ بالحضور وبضَيفه، وتكلَّمَ على رعد، ولاسيَّما على شاعريَّته المُرهَفَة وشِعره السَّهل المُحَبَّب، وعلى كونه موسوعةً شعريَّةً أدبيَّةً متنقِّلَة، وقد شكرَ الضَّيفُ نَعمان، قائلاً إنَّه "بابا نويل" الثَّقافة بالمجَّان، بفارق أنَّ "بابا نويل" يأتي بالهدايا مرَّةً كلَّ عام، فيما نَعمانُ يأتي بها كلَّ يوم؛ كما شكرَ الدُّكتور كعدي على كلمته الهَيفاء، قبلَ أن ينبري شارحًا نظرتَه التَّوفيقيَّة بين مُتَطَرِّفي الشِّعر المُختلِفين على أنواعه، فمُستَذكِرًا على ظهر قلبٍ باقةً من رائع شِعره.
وارتجلَ الشَّاعرُ الياس خليل، بدوره – زَجَلاً، فبالفصحى – أبياتًا في رعد حالَ انتهائه من إلقاء قصائده، فيما شدَّدَ الوزيرُ السَّابقُ إدمون رزق، على أنَّه بالثَّقافة، ومُروِّجيها، وبجميل الشِّعر، تقومُ الأوطان، وأنْ لا خوفَ على لبنان، طالما الثَّقافةُ فيه بخَير.

* إنبرى الشَّاعرُ الضَّيفُ، بعد إنهائه كلمتَه، يُلقي من رائع شِعره على الحضور، مُستَذكِرًا، من ظهر لسانه، ولأكثرَ من نصف ساعة، قصائدَ سابقَةً له، في الحبِّ والغَزَل والوطنيَّات والغربة.

وقد قالَ خليل: "لقد أشبعتَنا يا نقيبُ لِنَجوعَ إلى المزيد"

يـــا نقيـــب باستِمـــرار رعدَك مصدر للأشعار
بتروي البلبل والأزهار وبترفـــد كلِّ الأنهـــار
جامِع حولك أحلى قمار ونبعك فايض ليل نهار
رعدك بيخَلّي الرَّبيـــع يزَهّر بمروج الأفكار

ثمَّ أردف: "وأمَّا قصائدُك فامرأةٌ حسناءُ أقولُ لها"

لو مَسَّ طيفُك في صحرائنا صنمًا هل تسألين لماذا تُعبَـدُ الصَّنَـــمُ؟
ما عدتُ أخشى ذئابَ الغابِ ضاريةً إنَّ الذِّئابَ إذا روَّضتِـــها غَنَـــــمُ

وتميَّز اللِّقاءُ بحضور حَشدٍ من مُحِبِّي الثَّقافة والشِّعر، من مِثل المِطران بولس دحدح، والآباء سُهَيل قاشا، عبدو أنطون، يوحنَّا يشوع الخوري، سمعان بطَيش؛ ورئيس بلديَّة مدينة جونية المهندس أنطوان افرام؛ ورئيس بلديَّة المريجة سمير أبو خليل؛ والأدباء والشُّعراء: جان كمَيد، ريمون عازار، جورج مغامس، موريس النَّجَّار، إيلي ضاهر؛ والفنَّان منير معاصري؛ والدَّكاترة: عصام خليفة، سمير حيدر، جوزف أبو نهرا، يوسف عيد، سُهَيل مطر، سركيس أبي عقل، نوفل نوفل (رئيس المجلس الثَّقافيّ لبلاد جبيل)؛ والمهندسين: إيلي حكيِّم، حبيب ياغي، إسبر زوين (رئيس رابطة خرِّيجي معهد الرُّسُل)؛ والمحامين: يوسف أبي عقل، غصن شويري، نبيل بو عبسي؛ والإعلاميِّين: أسعد خوري، عبد الله عبُّود، خليل سمعان، نخلة مرعب؛ والعميد بردليان طربيه، والرَّائد نصرالله فيَّاض؛ والأساتذة: رفيق أبي يونس، فيليب الهيبي، ضاهر المعوشي، توفيق صفير، جوزف الحاج، سامي عرموني، إيلي رشدان، جوزف مسيحي، جوزف صفير، عصام منصف، منصور عقيقي، إيلي أبي عقل وعقيلته ڤيوليت؛ إلى الآنسة ماري–تيريز الهوا.

وجرى، في نهاية اللِّقاء، تسليمُ شهادة الاستِضافة من نَعمان إلى رعد، فنخبُ المناسبة، وكما العادة، توزيعٌ مجَّانيٌّ لآخر إصدارات دار نَعمان للثَّقافة.

وكانت السَّيِّدة فاديا الهوا نَعمان فاجأتِ المُربِّي رعد بتقديم صورةٍ كبيرةٍ إليه، تضمُّه إلى باقةٍ من تلميذاته في مدرسة القلبَين الأقدَسين في جونية.

لقاء
الصِّحافيّ والرِّوائيّ جورج شامي

الأربَعاء ١٦ شباط ٢٠١١

الرِّوائيُّ الكبيرُ جورج شامي، فضفاضُ المَطارف

ميشال كعدي

ما قصدتُهُ مرَّةً في محترفِهِ، إلاَّ رأيتُه في حَنوةٍ، مُكبًّا على الصَّفحاتِ البيضِ، يُمليها بماءِ العينَينِ، ويُسوِّدُها بمدِّ الحروفِ، ومُعطياتِ الرِّوايةِ والقصَّةِ، والسَّرْدِ الموقَّعِ، وهو بجيرةِ أقلامِهِ، ومكتبتِهِ الَّتي تأرَّقتْ وهي تراقبُ جَمْعَ العصَبِ، ورفَّةَ العينِ، حيثُ الكُنْهُ المكنوزُ، وتَرَفُ اللُّعبةِ الصَّنعانيَّةِ، والبوحُ الدَّاخليُّ، وَسِرُّ الوجدانِ، وَنِعْمَ الضَّاربُ في الجواءِ.

مؤلَّفاتُهُ مِن جَمْعِ الشُّعورِ الَّتي تتقاذفُها ملامسةُ الأقلامِ، ورياحُ الواقعيَّةِ، ومكتنفاتُ الإنسانيَّةِ، والوعيُ.

على أنَّ أدبَه ماثلٌ في النَّفسِ، وهو قريبٌ من المجتمعِ والأفرادِ.

أدبُهُ مِن ثوابتِ الحياةِ، فهو يعبرُ إلى غير أُفُقٍ.

يعالجُ مُشكلاتِ الإنسانِ بدقَّةِ الثَّقيفِ، البصيرِ، القادرِ، وكلُّ ذلك بالصَّراحةِ والجُرأةِ اللاَّمُتناهيةِ، ومِن ثَمَّ يجعلُ في الجَنباتِ، أشلاءَ جرَّحَها عمقُ البصرِ، والمُطلاَّتُ الَّتي لها أكثرُ من وَقْفَةِ نَسْرٍ وانفتاحٍ.

وأمَّا نحنُ، فنقفُ إزاءَ روايتِهِ وقِصَصِهِ أمامَ حلولٍ، بل أمامَ مجتمعٍ دائمِ التَّحرُّكِ في الضَّمائرِ الَّتي تدومُ في داخلِ الإنسانِ.

وإذا كتبَ وَجَدْتَهُ فضفاضَ المَطارفِ، يجبَهُ الواقعَ البشريَّ بالأمورِ العقليَّةِ، وينطلقُ على سجيَّتِهِ كالنَّهرِ الَّذي يخطُّ طريقَهُ طوعَ مجراهُ.

لقد تحكَّمتْ بجمِّ اليَراعةِ أُصولُ الرِّوايةِ.

ثمَّ سيطرتِ السُّهولةُ المرتبطةُ بسياق الكلامِ القَصصيِّ والفواصلُ الَّتي تُعبِّرُ عن الانفعالاتِ والأزماتِ الجَوَّانيَّةِ بصدقٍ، وحالُهُ في هذا يُشبِهُ جميعَ الرِّوائيِّينَ في العالمِ.

لغةُ هذا الكبيرِ في كُتُبِهِ كلِّها حَيِيَّةٌ.
لغتُهُ تنقادُ لمَنطوق المجتمع والنَّاسِ كافَّةً، إحياءً منها للتَّعابيرِ المحبَّبةِ للذَّاتِ، وللتَّراكيبِ المألوفةِ، وإذا وَضَعْتَها في ميزانِ القولِ، تراها ترتفعُ إلى الذّروةِ والمستوى الأَنوفِ، الأَليفِ. وأمَّا الكلمةُ فتَندى بِرَشْحِ الحِسِّ والفكرِ والصُّوَرِ النَّبَّاضةِ.

وصفُهُ أبقاهُ في روعةِ الحيويَّةِ.
نتَّفَ عليه مِن بُرَادَةِ الفِضَّةِ، وأوشحةِ الذَّهبِ والماسِ. فجورج شامي الأديبُ، القصَّاصُ، الرِّوائيُّ الهادفُ، الوصَّافُ، لا يمرُّ على المشاهدِ كيفما اتَّفقَ، فهو يُمعنُ في التَّصويرِ، وسَبْرِ الأبعادِ. وأمَّا وَقْعُ قلمِهِ بين أصابعِهِ، كَوَقعِ ريشةِ الرَّسَّامِ الَّذي يتبالغُ في خطٍّ وَخَلْطِ الألوانِ، على اللَّوحةِ، مخافةَ أن يتركَ فراغًا، أو بالأحرى منفذًا لفراغٍ.

الأديبُ جورج شامي.
لم ينسَ أبدًا، أنَّ القصَّةَ، أو الرِّوايةَ مِن شرايينِ الثَّوابت والحقائق المجتمعيَّة.
لم ينسَ أنَّ النَّفسَ ترتاحُ على طَرَفِ قَلَمٍ له سلطانٌ على الذَّاتِ، وأَسلاكِ البَصَرِ.
لم ينسَ أنَّ الرِّيشةَ الَّتي تُغَمَّسُ في المحيطاتِ، غيرُ الرِّيشةِ الَّتي تمرُّ على السَّواقي.
من هنا أقولُ، إنَّ لهذا الأديبِ الرَّائدِ، دولتَينِ: واحدةٌ في لغةِ الضَّادِ ومفرداتِها، وواحدةٌ في جوهرِ الألفاظِ؛ وأمَّا الدَّولتانِ فتسيرانِ في مَعْبرٍ واحدٍ.
وَهُوَ، لم تَفُتْهُ عظمةُ التَّأليفِ، وما يتوافرُ في شروطِ الرِّوايةِ والقِصَّةِ، والعُقَدِ، والحَلَقَاتِ المتأزِّمةِ. وكلَّما سارَ معكَ إلى حلٍّ، أو بعضِ حَلٍّ، ضيَّعكَ إمَّا بانجرافٍ مع تيَّارِ الوصفِ، وإمَّا بفتحِ قِنًى جديدةٍ، تُلهيكَ عن الخُلاصاتِ والنَّتائجِ، على أنَّ الحلولَ في روايتِهِ تتشابكُ، لتأخذَ مجرًى غيرَ مُرْتَقَبٍ.

بقي أن أُشيرَ إلى صُلْبِ الطَّويَّةِ والنَّفسِ الكبيرةِ في حَومةِ التَّفكيرِ، فلجورج شامي مفهومٌ للكونِ والحياةِ والعُمرِ، حيثُ يتجسَّمُ ذلكَ في مضمونِ تساوقِ القِصَّةِ، ظنًّا

منه أَنَّ الأديبَ العظيمَ لا يَعرِفُ معنًى للانطلاق والقَدْر، ما لم يكنْ صورةً حيَّةً عن دنياه.
إنَّ قلمًا ينبضُ بالوِجدانِ والحركةِ، مِن الضَّرورةِ أن يبقى دائِمَ الإقامةِ في الوُسْعِ والمِساحاتِ والرّقاعِ.

يا أحبَّاءَ الحرفِ والأدبِ.
جئنا معًا لنتلمَّسَ مكامِنَ العَفْوِيَّةِ في بيانِهِ، وعُذرًا إذا أقصيتُهُ عنكم قليلاً.
الرِّوائيُّ المُبدِعُ جورج شامي، رسمٌ يَبقى في عالمِ الرِّوايةِ، ولبنانَ، والشَّرق، وفرنسا، وتاريخِ الأَدَبِ.

يا صديقَنا جورج، أَهلاً بك في رحابِ دارِ نَعمانَ للثَّقافةِ، مُكَرَّمًا.

جورج، سلمَت يداك.

أثرُ التـَّحوُّلات السِّياسيَّة في أدبيي الرِّوائيّ

جورج شامي

شكرًا لكم، أيُّها الأحبَّة، لقد أعادَ حضورُكم إليَّ هذه اللَّيلة، الدِّفءَ الَّذي أخذَت مفاصلي تفتقدُه، منذ أن وقفتُ على عتبة الثَّمانين، أواجهُ مصيري، غيرَ مُبالٍ بصقيع الفناء.

شكرًا لكم لأنَّكم تحمَّلتم عناءَ الحضور إلى هذه المَحَجَّة الَّتي شاءَها عاشِقا الكلمة، الأديب ناجي نَعمان والسَّيِّدة فاديا عقيلتُه، بحجم البلّورة السِّحريَّة الَّتي تختصرُ في داخلها وتختزنُ أنشطةَ عددٍ من صالونات الثَّقافة الَّتي نتوقُ إليها، ويُضيئان بها، ومن خلالها، على المستحقِّين من المُبدعين... ويعزِّيان، من حين لآخَر، الباهِتين من أمثالي الَّذين ينطبقُ عليهم المثلُ المأثور: *"على حجَّة الورد، يشربُ العَلَّيق"*، ويكشفان سرَّهم، بحراسة سيَّاف البلاغة المعزِّ للكلمة النَّظيفة والنَّبيلة، مارِدِ الفصاحة المقدود من معدنٍ ثمين، الدكتور ميشال كعدي.

شكرًا لكم لأنَّكم جئتم تحدوكم نخوةٌ نادرةٌ وهمَّةٌ فتيَّةٌ لتستمعوا إلى عجوزٍ مثلي غابَت عن شكله وحضوره نضارةُ الصِّبا، ويكادُ الدَّهرُ يبولُ عليه.

أيُّها الأحبَّة، لا أبالغُ ولا أحابي، إذا قلتُ لكم كم كنتُ أتمنَّى أن أكونَ *"شاكيرا"* أو *"مادونا"*، وأتمتَّعَ بكلِّ مكوِّنات الغواية والإثارة والفتنة والموهبة الَّتي تمتلكانها، والَّتي تشدُّ المتهافتين بالملايين للتَّرفيه والاستِمتاع بملذَّات الحياة.

ويؤسفُني أن لا صوتَ عندي أطربُكم به، ولا أُحسنُ فنَّ الرَّقص وهزِّ الأرداف، ولا القفزَ المجنونَ فوق المسارح كقردٍ أو سنجاب، ولا أُتقنُ، حتَّى، فنَّ التَّعرِّي ولا الحركات المريبة الَّتي تهزُّ المشاعرَ البليدة، وتنعشُ الحواسَّ النَّائمة، وتوقظُ المواهبَ الباردة.

أيُّها الأحبَّة، أتمنَّى أنْ لا تستسلموا لليأس والمَلل والسَّأم والخيبة، ويصيبَكم الإحباطُ وأنتم تستمعون إليَّ أقرأُ عليكم مُطَوَّلَةً تختصرُ ستَّةً وستِّين عامًا من النِّضال البارد بمختلِف أشكاله في حالات الشِّدَّة أو حالات الرَّخاء.

***

حين يُجاهرُ زعيمٌ كبيرٌ بحجم وليد جنبلاط، في حالاتٍ تنمُّ عن اليأس والاكتئاب، أنَّه يتمنَّى أن يكونَ زبَّالاً في نيو يورك، فإلى أين أذهب؟ وماذا أفعل؟ وأيَّة حال تكون حالي أنا المعذَّب العاني، منذ أن أطلقتُ صرخةَ الرَّفض والنُّور للحياة؟ عاريًا من أيَّة زعامة سياسيَّة أو روحيَّة! ويدورُ حولي حوارٌ بالنِّعال والأحذية وحوافر الدّواب.

ولكنَّني كنت، على ما يبدو مزوَّدًا خفيَةً، بسندات خزينة مسحوبة على مصرف الزَّمان. بعضُها قصير الأجل، وبعضُها متوسِّط الأجل، وبعضُها طويل الأجل... بعضُها لمجد لبنان، وبعضُها لمجد العروبة، وبعضُها لمجد المحبَّة... بعضُها فَقَدَ قيمتَه، بينما زادت قيمةُ البعض الأخر بفِعل الأحداث والتَّحوُّلات، عملاً بمبدإِ *"رُبَّ ضارَّةٍ نافعة"*، إلاَّ أنَّني فقدتُ جزءًا كبيرًا منها بسبب التَّشرُّد والسَّطو على الممتلكات، العامَّة والخاصَّة، والتَّدمير!

وقد استطعت، على الرَّغم من كلِّ هذا الضّياع، أن أجد ما يبلسمُ يأسي وكآبتي بفضل هذه القوّة الخفيَّة الَّتي تعهَّدتني في مياتم الإنسانيَّة المعذَّبة. كنت في الثَّانية عشرة من العمر، ألهو بالرَّكض وراء التَّنانير، يوم نلتُ الشَّهادتَين الابتدائيَّتَين بنسختَيهما، اللُّبنانيَّةِ والفرنسيَّة، وكان محتَّمًا عليّ، مع فجر الفتوَّة، أن أواجهَ المستقبل بجِدّ، على مفترق طرقٍ معقَّدة، وأكثرها مَسدود.

كان عليَّ أن أتوقَّفَ عن متابعة الدِّراسة، وأنصرفَ إلى مواجهة أعباء الحياة، والتَّخفيف عن كاهل والدَيّ، فأنتمي إلى عالم الحرفيِّين لا الكتَّاب: نجَّارًا أو حدَّادًا أو كهربائيًّا أو ميكانيكيًّا، أو بائعَ كعكٍ أو بائعَ بطِّيخ، أو محتالاً من لاعِبي الثَّلاث ورقات. ولكنَّ يدًا خفيَّةً انتشلَتني من هذا التَّشتُّت الفكريّ، ووضعَتني في طريق النُّور والحياة، فأنقذَتني من ظلاميَّة القهر والمعاناة إلى ما هو أقسى وأمرّ، إلى قلقٍ يولِّدُ في كلِّ لحظةٍ اليأسَ والاكتِئاب.

وأقولُها بأسفٍ شديد، حتَّى رجلُ الله الشُّجاع، المِطرانُ إغناطيوس مبارك، رئيسُ أساقفة بيروت المارونيَّة، الَّذي مدَّ لي يدَ المساعدة وتعهَّدني لمتابعة دراستي الثَّانوية في مدرسة الحكمة، أُقيلَ من منصبه، وفُرضَت عليه العزلة بسبب مواقفه الوطنيَّة الجريئة قبل أن أنهيَ هذه المرحلة.

وفي عالم الصِّحافة، وأنا على الدَّرج الحجريِّ المؤدِّي إلى مكتبي الأعرج في جريدة *"النَّهار"* الَّذي برَتِ الأقدامُ درجاتِه لكثرة ما صعدت عليه وهبطت، واجهتُ المستقبلَ المهنيّ، وأنا في عنفوان الشَّباب، بالسُّؤال الآتي: هل أنا وجهُ نحسٍ جاء إلى هذه الدُّنيا ليُعلن خرابَها؟ أم وجهُ سعدٍ يُسهم في نَعمائها، وَفقًا للمَقولة المعروفة: *"الدُّنيا وجوه وأعتاب؟"*، فأيُّ وجهٍ هو وجهي؟ ومَن أكونُ كي أحملَ وزرَ التَّبعات الجِسام؟

وأنا، هنا، أحيِّي لويس الحاج، المعلِّمَ الأوَّلَ الَّذي فتح أمامي بوَّابة الدُّخول إلى محراب الصِّحافة عبرَ *"النَّهار"* بخمسة أسطرٍ ترجمتُها من جريدة *"لوموند"* الفرنسيَّة إلى العربيَّة.

وإذا برجفةٍ تأخذُ بتلابيبي ذات ليلةٍ وأنا أنزلُ ذلك الدَّرجَ الحجريَّ فتنزلق إحدى قدَمَيَّ، وأسقط على ظهري، فأتزحلق حتَّى تتلقَّاني بلاطاتُ الرَّصيف الضَّيِّق في *"سوق الطَّويلة"*. وفيما كنت أئنُّ من الوجع وأتفقَّدُ أعضائي من الكسور والرُّضوض، كان الوسواسُ الخنَّاسُ بما عُرف عنه

من أذيَّةٍ وشؤمٍ ينفثُ في أذني، ويصفعُني على وجهي بتهمةٍ لم تكن في البال: *"مجيئُك إلى هذه الدُّنيا عجَّلَ في موت النَّابغة اللُّبنانيِّ جبران"* ...

وقد علمتُ في ما بعد أنَّ جبرانَ لفظَ أنفاسَه بعد ولادتي بأربعة عشر يومًا، وكدتُ، للوهلة الأولى، أصدِّقُ ما سمعت، وأحكمُ على نفسي بأنَّني وجهُ نحسٍ فعلاً، على الرَّغم من بُعد المسافة بين بوسطن في الولايات المتَّحدة الأمِريكيَّة والأشرفيَّة في الضَّاحية الشَّرقيَّة من بيروت.

وازددتُ اضطرابًا ورجفانًا، واصطكَّت أسناني حتَّى كادت أن تتكسَّر، حين قهقهَ الوسواسُ الخنَّاس، وهو يشدُّ بتلابيبي ويجعرُ في وجهي: *"لا تنسَ يا وجه النَّحس أنَّ عشرين مليون إنسان وأكثر دفعوا حياتهم ثمنًا بعد ثماني سنوات من ولادتك بسبب سورةٍ من جنون العظمة سبَّبتها نازيَّةُ هتلر"*. وتملَّكَني شعورٌ بأنَّني لن أخرجَ من فقص الاتِّهام أبدًا.

وكرَّت سبحة التَّشاؤم والاتِّهامات الَّتي تسبِّبُ اليأسَ والاكتِئاب، واستطالت حلقاتٌ في إثر حلقات، وما زالت تدورُ وتدور، وأدورُ معها في دائرةٍ مغلقةٍ تتكشَّفُ في داخلها لتشكِّل عقودًا على وشك أن تبلغَ الثَّمانية.

وقد سجَّلتُ هذه المرحلة في قصَّة *"جرح عميق في برميل مازوت"*، واتبعتُها بـــ *"قطوف النَّفايات"*.

أوَّلُ حوارٍ مع الذَّات كان: هل من الممكن أن أكونَ قوميًّا سوريًّا كما غسَّان تويني، أو نقيبي محمَّد البعلبكيّ، أو الكاتب النَّادر سعيد تقيّ الدِّين، أو شمدص جهجاه؟

وهل من الممكن أن أكونَ شيوعيًّا على غرار يوسف ابراهيم يزبك، أو حسين مروّة، أو نديم عبد الصَّمد، أو قدري قلعجي؟

وهل من الممكن أن أكونَ كتائبيًّا على خطى المؤسِّس الشَّيخ پيير الجميِّل؟

وهل من الممكن أن أكونَ قوميًّا عربيًّا على غرار ساطع الحصريّ، وأكرم زعيتر، وإميل الغوري، وأستاذي كامل مروّة، المعلِّم المُبدع الَّذي خطفَني من *"النَّهار"* إلى جريدة *"الحياة"*، وتدرَّجت في الصِّحافة على يدَيه، وفتحَ أمامي فراديسَ المتاعب على مصاريعها من الافتتاحيَّة إلى التَّعليق، إلى التَّحقيق، إلى المحادثة، إلى سرعة الخاطر وتحمُّل المسؤوليَّة، وعزَّزَ عندي ملكةَ النَّقد الذَّاتيِّ والموضوعيَّةَ في التَّعبير؟

وهل من الممكن أن أكونَ بعثيًّا على غرار الأرسوزيّ، وميشال عفلَق، وصلاح البيطار، وأكرم الحورانيّ؟

وهل من الممكن أن أكونَ قوميًّا عربيًّا اشتراكيًّا على خطى عبد النَّاصر؟

وهل من الممكن، وهنا المعجزة، أن أكونَ متضامنًا مع *"التَّضامن الإسلاميّ"*، وأنا لم أسبحْ في محيطات النَّفط، ولا كدتُ أختنقُ في بحار الغاز السَّائل؟

وقد عبَّرتُ عن هذه المرحلة القلقة الَّتي كنت اجتازُها بقصصٍ قصيرةٍ ضمَّتها أوَّلُ مجموعةٍ قصصيَّةٍ صدرَت لي عامَ ١٩٥٥، وفيها أتحدَّثُ عن *"شيش الزَّمن"* و*"وجه شبابي"* و*"قهقهة الدِّيدان"* و*"قهوجي النَّهار"* بطل *"النَّمل الأسود"* الَّتي حملَت المجموعةُ اسمَها.
في هذا الفيض من الأفكار والمبادئ والأيديولوجيَّات الَّتي كانت تضجُّ به السَّاحات العربيَّة، مترافقًا مع التَّحرُّر من ربقة الاستعمار... أخذتُ أسبحُ وأجذِّف، أرفعُ أشرعةٍ وأطوي أشرعة، في سباقٍ بين التَّبدُّلات والتَّحوُّلات الَّتي تفرضُها الأحداثُ والمجريات.

وقد حتَّمَت عليَّ فترةُ رئاستي تحريرَ مجلَّة *"الشِّراع"*، بين ١٩٥٦ و١٩٥٩، أن أتصدَّى للمدِّ النَّاصريِّ اليساريّ، والشُّيوعيَّةِ والدَّوليَّةِ والحياد الإيجابيِّ الَّذي كانت تنادي به دولُ عدم الانحياز. وتطوَّعتُ مُختارًا لتوجيه رسائلَ بعنوان: *"يا أخي اللُّبنانيّ"*، من الإذاعة السِّرِّيَّة الَّتي أنشأتها الكتائبُ على أثر أحداث ١٩٥٨ باسم *"صوت لبنان، صوت الحرِّيَّة والكرامة"*، على ما تشهدُ عليه قصَّةُ *"دور في المعركة"* الَّتي تضمَّنتها مجموعةُ *"أعصاب من نار"*.
وكنتُ قد طويتُ خمسين سنةً من عمري حين حطَّ بي المطاف في غربةٍ زمنيَّةٍ في پـــاريس ولندن، زادتني غنًى ونضجًا، وما زالت!
وانضمَمتُ إلى مجلَّة *"الوطن العربيّ"* في پـــاريس مديرًا للتَّحرير (١٩٨٥–١٩٩٩)، و*"المشاهد السِّياسيّ"* في لندن (١٩٩٩–٢٠٠١). وهنا تبدَّلت معالمُ التَّوجُّهات كلِّها، وانقلبَ عقربُ البوصلة. وطالما أنَّ التَّحوُّلات ترضخُ دائمًا وأبدًا إلى مكوِّنات طارئة أو رديفة تفرضُها حتميَّةُ النُّشوء والارتقاء، أجدُ نفسي، أنا المعنيَّ بالصِّراع، مضطرًّا إلى خوض المعركة لتفكيك ذاتي وأناي، على قدر ما يسمحُ الزَّمن القصير المخصَّص لي في هذه الأمسية.
وطالما أنْ لا شيءَ ثابتًا في الفنِّ المِكياڤـلِّيّ، يمكن التَّأكيد بأنْ لا مرتكزاتٍ ثابتةً للتَّحوُّلات السِّياسيَّة الَّتي تتبدَّلُ بتبدُّل الظُّروف، وتأخذُ شكلَ الوعاء الزَّمنيِّ والفكريِّ والأيديولوجيِّ الَّذي تصبُّ فيه.
وعلى هذا الأساس، لا بدَّ هنا، من فكِّ الارتباط بين المَنظور واللاَّمَنظور، بين الرَّمز والواقع، بين الفكرة والبطل، من صلب الصِّراع بين الرِّوائيِّ وزمانه.
وقد ظهر ذلك واضحًا في روايتي الأولى *"ماذا بقي من القتال"* (٢٠٠١)، وروايتي الثَّانية *"أوَّل الذَّهب"* (٢٠٠٢).

وطالما أنَّ المنظور يتكوَّن من عالم اللاَّمنظور، فلا بدَّ من تفتيته وتفكيكه، أو عزله وتخصيبه. لهذا، سأعودُ القهقرى ستًّا وستِّين سنة إلى يوم لبطتُ التَّشاؤم بقدمي، وأخذَتني غيبوبةٌ من جنون الفرح، بعودة أبطال الاستقلال من منتجعهم في راشيَّا، رمزِ الحرِّيَّة والكرامة! ولا أنسى

ليلة رحتُ أقفزُ مثل قردٍ إفريقيٍّ وأنا، لا أصدِّقُ نفسي، من ميزابٍ إلى ميزاب، ومن سطح بيتٍ إلى سطح كنيسة، أساهمُ مع الشَّباب، المندفعِ حماسةً، في إضاءة الشُّموع والأبالات والمشاعل ابتهاجًا وفخرًا واعتزازًا، ولم تحدَّ من اندفاعي وحماستي *"العَلقةُ"* السَّاخنةُ الَّتي جلدَني فيها والدي عدَّة جلداتٍ تأديبًا على *"شيطَنتي"* والسّخام الأسود الَّذي صبغَ ثيابي وغيَّرَ لونَ جلدي.

ولكنَّ الفرح العارم بالاستقلال الَّذي سجَّله لبنان على أشقَّائه بوصفه أصغر وأوَّل دولة عربيَّة من مؤسِّسي الجامعة، نكَّست أعلامَه الخيبةُ المُرَّةُ بعد أربع سنوات تقريبًا، بضياع فلسطين، فانتابني شعور، وأنا في سنِّ المراهقة، بأنَّني لبنانيٌّ عربيٌّ قزم، وأنَّ مسيحي الَّذي جاء ليخلِّصَ العالم، خيَّب آمالي، ولم يشأ، لحكمةٍ ما، أن يخلِّصَ وطنَه من جلاَّديه الَّذين عملوا بحكمة سليمان فقسَّموا الصَّبيَّ إلى قسمَين بعد أن أنكرته أمُّه وسلَّمته لقدره.

وكان ضياعُ فلسطين المحورَ الأساس، وما زال، لكلِّ التَّحوُّلات، بعد أن تناتشَتها قوميَّتان: العروبة والإسلام، وأرخى أبناؤها رحلَهم في المخيمات وتحت رحمة جلاَّديهم وفتات المساعدات والإهانات المذلَّة!

وبهرَني الزَّعيم حسني الزَّعيم بعد سنتَين تقريبًا من ضياع فلسطين، ونبُّوت المارشاليَّة تحت إبطه و"المونوكل" على إحدى عينَيه، وكأنه يرى بعينٍ واحدة، ويخرج من إحدى ثكنات سورية المستقلَّة حديثًا ليذيعَ على الملإِ البلاغَ الرَّقم واحد فيطيح بشكري القوَّتلي، ويعلن أنَّ العسكرَ موجود، وهو الحلّ!

وأخذت تتبدَّل أمورٌ كثيرةٌ وشؤونٌ كثيرة، بخروج العسكر من الثُّكنات، وتعقد أحلاف في وجه أحلاف، ويترسَّخ عهد التَّحوُّلات في الأوطان العربيَّة الَّتي فرضتها معاهدة سايكس- بيكو.

وأوَّل هديَّة قدَّمها حسني الزَّعيم للبنان، رأس المفكِّر المتنوِّر أنطون سعادة، مؤسِّس الحزب القوميِّ السُّوريّ، تمامًا كما فعل بيلاطس البنطيُّ حين قدَّم رأس يوحنَّا المعمدان لسالومي الرَّاقصة. هذا لمجد الغواية! وذاك لمجد لبنان!

وأدَّى إعدام أنطون سعادة إلى إطلاق رصاصة الرَّحمة على حلم الهلال الخصيب، ودشَّن حسني الزَّعيم، الَّذي كان يودِّع زوَّاره بالبنان الأوسط زيادةً في إكرامه لهم، والَّذي لم يطُل حكمُه سوى عدَّة أشهر، عهدًا استمرَّ عشرين عامًا من صراع الثُّكنات بانتظار مجيء المنقِذ حافظ الأسد.

وقد دفع إعدام أنطون سعادة، في أقلّ من عام، مجموعة من المؤمنين بمبادئه القوميَّة، والمدرحيِّين، إلى اغتيال رياض الصُّلح، رئيسِ الوزراء اللُّبنانيّ، بينما هو عائدٌ من عمَّان على طريق البَــرّ، وبوفاته تيتَّمَ *"الميثاق الوطنـيّ"* الفتيُّ الَّذي على أساسه قام استقلال لبنان، واختلَّ

التَّوازن في الوطن الجوهرة، بينما اشتدَّ الضَّغط على المحازبين القوميِّين في سورية، وبدأت مطاردتهم بشراسة بعد إقدامهم على اغتيال الضَّابط المقدَّم عدنان المالكيّ بهدف تسلُّمهم الحكمَ في عرينهم!

وحرَّض الوضع المُلتهب في سورية بعد ثلاث سنوات من الكرِّ والفرّ، مجموعةً من الضُّبَّاط الأحرار في مِصرَ على التَّحرُّك، بحكمةٍ بيضاء، لم تُرَقْ فيها دماء، وأنهَوا بالبلاغ الرَّقم واحد حكمَ الطَّرابيش، وتولَّى جمال عبد النَّاصر قيادة الثَّورة بعد محمَّد نجيب، فنادى بالوحدة العربيَّة والقوميَّة العربيَّة من المحيط إلى الخليج ومن بغداد إلى تطوان، واندفع بزخمٍ لا مثيلَ له كالسَّيل العَرِم والبحر الهادر يهزُّ أركانَ الملكيَّة وعروشَها من الأردنّ إلى بغداد إلى الرِّياض فصنعاء. وأمَّمَ قناة السُّويس وفرض على مِصرَ مواجهة حربٍ قصيرة الأمد ضدَّ فرنسا وبريطانيا وإسرائيل، انتهت بجرِّ أمريكا إلى المنطقة، وفي إثرها الاتِّحاد السُّوفييتيّ، ووقعت المنطقة العربيَّة في قبضة الحرب الباردة.

ونادى عبد النَّاصر بالاشتراكيَّة وبإلغاء الإقطاع وبالتَّأميم، وانفتح على دول عدم الانحياز في حلفٍ ضمَّه إلى نِهرو وتيتو وسوكارنو، في مواجهة حلف بغداد الَّذي ضمَّ شاه إيران وزعيمَ تركيا عدنان مندريس ونوري السَّعيد وكميل شمعون، وبذلك فَقَدَ لبنانُ "عذريَّة" الحياد الَّتي كان يتباهى بها، وصار الوطن الدُّرَّة في تاج العروبة كما وصفه الشَّاعر والسَّفير الدُّكتور سليم حيدر في إحدى محاضراته *"مكسرَ عصا تتلاعبُ فيه الأهواء والنِّزاعات"*.

وصدرَت لي في تلك الحقبة الأليمة (١٩٧٧–١٩٧٩) مجموعتان من القصص الأولى بعنوان *"أبعاد بلا وطن"*، والثَّانية بعنوان *"وطن بلا جاذبية"*؛ كما صدرَ لي نشيدٌ حمَّلتُه عتابًا إلى المواطنين بجميع فئاتهم بعنوان *"لماذا يا أخي"*، وكنت بهذه الأعمال في طليعة من كتبَ أدبًا عن الحرب، ونددَّ بويلاتها من منطق الاعتدال. وفي قصَّة *"عبث"* من مجموعة *"قاديشات آلوهو"*، قلت: *"فلسطين قاتلة وطني"*.

وشذَّ الملك السّعوديُّ فيصل بن عبد العزيز الَّذي رأى في عبد النَّاصر عدوًّا للعروبة والإسلام، فنادى بالتَّضامن الإسلاميِّ الَّذي نشهد سلبيَّاته تهدِّدُ العالم أكثر من إيجابيَّاته، بالعودة إلى أصوليَّة أُسيء فهمُها وتعميمُها. وفتحت انتفاضةُ الضُّبَّاط الأحرار في مِصر، وصراعُ التُّكنات في سورية، شهيَّةَ ضابطٍ عراقيٍّ مغمورٍ هو عبد الكريم قاسم، فارتكب في ليلة ليلاء مجزرة *"قصر الرّحاب"* في أبشع مقتلة، ومحا من الوجود كلَّ أثر للملكيَّة في بلاد الرَّافدَين باغتيال الملك فيصل الثَّاني وعبد الإله الوصي على العرش، وجميع أفراد العائلة الحاكمة، ولم يستطِع لا البرقعُ ولا الحجابُ ولا القفطانُ الحريميُّ إنقاذَ نوري السَّعيد من العقاب.

وتتالتِ الانقلابات... كما في سورية في العراق، بحيث لم يعُدْ أحدٌ أفضلَ من الآخر في هذا السِّباق المحموم الَّذي يُشبه سباقَ البدل.

وعجزَ عبد النَّاصر، على الرَّغم من كلِّ المحاولات، من هزِّ عرش الأردنّ الفتيّ، تحت أقدام الحُسين، الملكِ الشَّابِّ الَّذي ورث تركةً ثقيلةً عن جدِّه الملك عبدالله الأوَّل، لا عن أبيه الَّذي لم تساعده صحَّتُه على الحكم، منذ أن اغتالَته مجموعةٌ متشدِّدةٌ من الفلسطينيِّين، وهو يؤدِّي الصَّلاة في الجامع، معبِّرين عن عدم رضاهم ورفضهم ضمَّ الملك عبدالله البقايا من فلسطين، إلى إمارة شرق الأردنّ، وإعلان المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة بدلاً منها.

وشهدَ لبنانُ أوَّلَ إنزالٍ أمريكيٍّ على شواطئه بعد مجزرة الزَّعيم الأوحد عبد الكريم قاسم وديَّانه الأرعن المهداويّ.

وأدَّت هذه الأحداث إلى تدفُّق جموعٍ أشبه بالسَّيل العَرِم، من النَّازحين السُّوريِّين والعراقيِّين والمِصريِّين الهاربين من الظُّلم والاضطهاد، بينهم الأدباء والشُّعراء والصِّحافيُّون ورجال السِّياسة والمفكِّرون الحزبيُّون والحياديُّون، كما نزحت إلى لبنان جموعٌ من رجال الأعمال وأصحاب الثَّروات والمستثمرين الباحثين عن الأمان، حتَّى بعد اشتداد وطأة صراع الأحلاف، والانتفاضة الَّتي قام بها فريقٌ من اللُّبنانيِّين على انحياز كميل شمعون وجرِّ الوطن إلى المعسكر المناهض لعبد النَّاصر.

حدثَ ذلك في فترة لم تتعدَّ العشر سنوات، لم يكفَّ خلالها الوسواس الخنَّاس عن طرح السُّؤال في أثر السُّؤال: هل أنا وجه نحس أم وجه سَعد؟ وهل أنا المسؤول عن كلِّ الخراب والدَّمار الَّذي خلَّفه هذا الأعصار الأرعن خلال هذه المدَّة القصيرة في حياة الدُّول والشُّعوب؟

هل كان فؤاد شهاب خائنًا في نظر غلاة المسيحيِّين حين اجتمع مع عبد النَّاصر في خيمة على الحدود السُّوريَّة–اللُّبنانيَّة، ووضع حدًّا للصِّراع مع هذا الزَّعيم الهادر المتفجِّر، وأعاد للبنانَ الأمانَ والهدوء، وإن لم يستطِعْ أن يعيدَ له حيادَه!

ودبَّر القوميُّون السُّوريُّون الَّذين لم يناموا على الضَّيم الَّذي لحقهم في لبنانَ وفي سورية، انقلابًا سفاحًا على حكم فؤاد شهاب الَّذي عزَّز حكمَ المؤسَّسات في لبنان، بشكلٍ مثاليّ، نقضَه الحلفُ المارونيُّ الثُّلاثيُّ لغاياتٍ ضيِّقة الأبعاد.

وبينما اشتعلَت الحربُ في اليمن ضد حكم الإمام يحيى برئاسة ضابط هو عبدالله السَّلاَّل، مدعومًا بجيشٍ مصريٍّ قوامه حوالى خمسة وسبعين ألف جنديّ، صمد الإمام بدر، ابن الإمام يحيى في المعركة الَّتي استمرَّت سنواتٍ بدعمٍ من السّعوديَّة، إلى أنِ انتهَت في مؤتمر حرض، وفرضَت على عبد النَّاصر اللُّجوء إلى خصمه الملك فيصل لوضع حدٍّ لهذه الحرب العبثيَّة الَّتي انتهت بإلغاء حكم الإمامة، ونراها اليوم تخوض حربًا ضدَّ الزَّيديِّين بهدف الانفصال بعد الوحدة! وهنا أتساءل: هل الوحدة بين عدن وصنعاء كانت الخطأ؟ أم الانفصال؟ ولماذا هذا الدَّورانُ الغبيُّ بين الوحدة والانفصال؟

وحاولَ عبد النَّاصر أن يحقِّقَ حلمه بتحقيق الوحدة مع سورية فلم تصمدْ أكثرَ من سنتَين، وظلَّ العلمُ السُّوريُّ، على الرَّغم من ذلك، يرفرفُ بنجمتَين علامةَ الوفاء!
ونكَّسَ لبنان أعلامَه وأحنى رأسَه، أمام رغبة فلسطينيَّة ماكرة تدعمُها رغبةٌ ناصريَّة، فوقَّع *"اتِّفاق القاهرة"* المشؤوم الَّذي تنازل فيه للفلسطينيِّين عن حقِّه في الدِّفاع عنهم، فسلَّمهم الجُزء الغالي من جنوبه، ليكون فردوس *"فتح"*، يسرحون فيه ويمرحون على هواهم بحجَّة مقاتلة إسرائيل واستعادة الوطن السَّليب... إلى ما هنالك من ترَّهات الإنشاء الكلاميّ، والأسلحة الصَّوتيَّة!
وفَقَدَ لبنان واقع الهدنة الَّتي كان يعيشها مع الدَّولة العدوّ، وصار طرفًا في الحرب غير المتكافئة، ووقع في الفخّ، فخِّ التَّفتيت والتَّشرذم.
كان *"اتِّفاق القاهرة"*، بالنِّسبة إليّ، أنا اللُّبنانيّ، النَّكسةَ الكبرى، بعد الهزيمة، واحتلال إسرائيل سيناءَ وإقامة خط بارليف ودحر الجيش المصريّ، واحتلال هضبة الجولان ووضع اليد على فلسطينَ كلِّها بعد انتزاع الجُزء الَّذي ضمَّه الملك عبدالله الأوَّل إلى إمارة شرقيِّ الأردنّ، وهو الضِّفَّة والقطاع.

ورحلَ عبد النَّاصر، عرَّابُ "اتِّفاق القاهرة"، بعد الهزيمة بفترة قصيرة، فاستغلَّ الفلسطينيُّون رحيله، ويا لَلأسف، وعاثوا في لبنان فوضًى واضطرابًا، وحوَّلوه مفسدةً، وصارت أرض الجنوب المعروفة بفردوس *"فتح"* مربطَ خيلهم.
وبينما دعا الرَّئيس سليمان فرنجيَّة، في بادرة نخوة وفروسيَّة، اللُّبنانيِّين لأن يناموا وأبواب بيوتهم مفتوحة، صحوا ذات يوم، وأنا واحدٌ منهم، فوجدوا بيوتهم بلا أبواب ولا شبابيك، لا بل أنَّ بعضَهم فَقَدَ زهرة أبنائه خطفًا وسحلاً وتأديبًا، فضجُّوا من هذا الفلتان الأرعن.
وكانت حادثةُ عين الرُّمَّانة الشَّرارةَ الَّتي أشعلت فتيل الحرب بين فئة من اللُّبنانيِّين الَّذين ساءهم هذا العبث، والفلسطينيِّين الَّذين أُتخموا بالسِّلاح والعتاد بحجَّة تحرير فلسطين – لا عن طريق الجنوب – بل عن طريق جونيه هذه المرَّة، عملاً بنصيحة أبو أياد.

ولم يفارقني وجه النَّحس في تلك الحقبة، لا بل اشتدَّت وطأته عليَّ وكأنَّ تبعات السَّعد الَّذي ينتظرُه الكون، وبخاصَّةٍ لبنان، تقع كلُّها على عاتقي. فقد اغتيل الملك فيصل بن عبد العزيز الَّذي هدَّد بسلاح النَّفط في بادرة دعمٍ منه لأنور السَّادات، خليفة عبد النَّاصر، في معركة العبور الَّتي خاضها واجتاز فيها خط بارليف وحرَّر سيناء، وجاراه شاه إيران، فدفع هو أيضًا، أغلى ثمن إذ طاردته حناجر الملايين من الإيرانيِّين تردِّد: الله أكبر يؤمُّها الإمام الخميني، وشرَّدته مع أفراد عائلته وسلطاته وصولجانه في الجهات الأربع – حتَّى مات مغمومًا، بينما أجهــزت فئة من النَّاشطين المتحمِّسين على شهبور بختيار، آخر رئيس وزراء في عهد الشَّاه،

في مقرِّ إقامته في *"سورين"* بضاحية پـــاريس، على الرَّغم من الحراسة المشدَّدة الَّتي كانت تتولَّى حمايتَه.
وعلى الرَّغم من *"الحجاب"* الَّذي فاجأتني به إحدى العشيقات من غير ديني، الَّتي أعماها قلبُها عن الحقيقة، فسعت لتحصين حبِّها لي عن طريق الرَّصد، فزوَّدها معمَّمٌ رؤيويٌّ في طرابلس الفيحاء بحجاب كفيل بأن يطرد عنِّي النَّحس والجنَّ وكلَّ الوسواس، اخترقَ ميليشياويٌّ مارونيٌّ مسعورٌ جموعَ *"الحرَّاس السَّماويِّين"*، وأطلق عليَّ ثلاث رصاصاتٍ في مكتبي في الفرع الثَّاني من كلِّيَّة الإعلام والتَّوثيق في فرن الشّبَّاك، بعد أن عملت بنصيحتها وحملتُ هذا الحجاب بأيَّامٍ معدودة.
وكتبتُ على الأثر قصَّة *"عاشقة بألوان قوس قزح"*، و*"ليلة في برج القوس"*، وما زلت أتساءل عمَّن أنقذني، أهو الحجاب؟ أهو الحظّ؟ أهي سرعة الخاطر؟ وما هو دور الوسواس الخنَّاس؟
وشهدت إهدن، عرينُ المَرَدَة، بعد أسابيع قليلة جدًّا، مقتلَةً أكثر ضراوةً من مجزرة *"قصر الرّحاب"*، شقّت الجبهة المسيحيَّة، وتركت مجد لبنان يعاني من جرحٍ ما زال ينزف حتَّى هذه اللَّحظة، لأنَّ الإرادةَ الَّتي حرَّضت على هذه المجزرة كانت إرادةً مسمومة... والجرح المسموم لا يندمل، وما زالت آثاره ظاهرةً بعد ما يقارب الثَّلاثين سنةً على وقوعه.

وحرَّكت النّخوةُ جامعة الدُّول العربيَّة، فهبَّت في مسعًى منها لوضع حدٍّ لهذه الحرب، بعد سنتَين من اشتعالها، بصيغة قوَّات ردعٍ عربيَّة، يمكنُ القول، بأنَّها كانت الصَّيغة الماكرة، المكمِّلة صيغةَ *"اتِّفاق القاهرة"* الَّتي أدخلت لبنانَ في زمن الوصاية الَّذي فرضته حاجة سورية لأرض معركةٍ خارج أرضها، وحاجة إسرائيليَّة، ربَّما لم تكن مقصودة لمَن يهدِّئ الجبهة الشماليَّة، بعد احتلال الجولان، والانقسام الَّذي يولِّد انقسامات، إلى أن غزت إسرائيل الجارة العدوَّة لبنان، واحتلَّت الشِّقَّ الجنوبيَّ منه حتَّى العاصمة بيروت، الوحيدة بين العواصم الَّتي احتلَّتها إسرائيل. وانتهت بذلك صيغة *"فتح لاند"* و*"اتِّفاق القاهرة"*، وعرَّتِ المخيَّمات، وتركتِ اللاَّجئين لقدر المتقاتلين!

وخطف صدَّام حسين الحكم من العسكر في العراق، وأزاح من تحت أقدامهم السّجَّادة الحمراء حين أزاحَ الفريق أحمد حسن البكر، ثمَّ شقَّ البعث إلى بعثَين، وآوى ميشال عفلق، الأبَ المؤسِّس، وفرضَ قطيعة بين حكمه الَّذي أطاحَ به احتلال أمريكا العراقَ، وحكمَ حافظ الأسد في سوريا، ومثَّلَ دورًا في تعكير الأجواء على سورية في لبنان، وخاضَ حربًا عبثيَّةً ضدَّ إيران استمرَّت ثماني سنوات، واحتلَّ الكويت، فحقَّقَ الحلم الَّذي لم يستطِعْ عبد الكريم قاسم تحقيقَه، وأثارَ *"عاصفة الصَّحراء"*، ودفعَ الثَّمن الباهظ! وما زالَ العراق رازحًا تحت كوابيس استعماريَّة وثأريَّة وكيديَّة، بعضها محلِّيُّ المنشإ، وبعضها مُستورَد، بانتظار الفرج!

وتفتَّتَ لبنان، نتيجة كلّ هذه التَّحوُّلات، إلى طوائف ومذاهب وأحزاب وتيَّارات متقاتلة ومتحاربة، وإلى ميليشيات تتعاطى القتال كما تتعاطى التَّهريب، وتفرضُ الخوَّات، وتتاجرُ بالسِّلاح وبالمخدِّرات وبالأرواح.

واشتدَّ صراع الأخوة، وصراع الإلغاء، خمس عشرة سنة، دفنَ اللُّبنانيُّون والمرتزقة من المتقاتلين *"الميثاق الوطني"* الَّذي عاشَ يتيم الأب طوال ما يقربُ الأربعين عامًا، ووضعوا حجرًا على قبره كما قالَ بشير الجميِّل في إحدى خطبه.

وأنا أعترف، بعد هذا العرض، أنَّ النّقطة الوحيدة الَّتي أفرحتني من *"اتِّفاق الطَّائف"* هي وقفُ الاقتتال، وأُنكر عليه أنَّه كانَ الحلَّ العادل؛ فقدِ انتصرَ فيه فريق على حساب فريق، وإن بانَ الأمر في البداية، وكأنَّه اتِّفاق اللاَّغالب واللاَّمَغلوب، ولكنَّه في الواقع كانَ اتِّفاق محاصصة، واستُغلَّت نصوصٌ لفرض هيمَنَةٍ خادعة.

وكانت روايتي *"ذكريات عارية"* الَّتي صدرت منذ عدَّة أشهر (٢٠١٠) آخرَ الأعمال الأدبيَّة حتَّى الآن، وفيها رفض مطلق للحروب والعنف على أنواعه، والقتال، و*"اتِّفاق الطَّائف"*، والمعايير المعتمدة لوطنٍ يعيش حالاتٍ من ديمقراطيَّة توافقيَّة وشراكة محاصصة بمفهوم *"السُّوبر مَرْكِت"*، لا بمفاهيم ديمقراطيَّة متطوِّرة ومتقدِّمة، وبحضورٍ هشٍّ وخجولٍ قائمٍ على التَّكاذب.

ومن سُخريات القدر أن يكونَ رياض الصُّلح، عرَّابُ *"الميثاق الوطنيّ"*، قد اغتيلَ بعد سنوات قليلة من العمل بمضمونه لم تتجاوز السَّبع سنوات، ويكون رفيق الحريري، عرَّابُ *"اتِّفاق الطَّائف"*، ضحيَّةَ هذا الاتِّفاق بعد خمس عشرة سنة على العمل بمضمونه بهذه الطَّريقة العرجاء الَّتي أوصلتنا إلى الدِّيمقراطيَّة التَّوافقيَّة، وأمرهم شورى...

هل هي لعنة الفينيقيَّة؟! أم لعنة العروبة؟! أم لعنة القواسم المشتركة؟! أم لعنة الهويَّة؟! أم لعنة الاختلاف بين الطَّوائف والمذاهب؟ أم لعنة الكفر والإيمان؟ أم لعنة العيش المشترك؟ الارتداداتُ البركانيَّةُ والاهتزازاتُ المختلِفةُ الدَّرجات لا تبشِّر بالاطئمنان!

يومَ توَّج الزَّميل إسكندر حبش الحديثَ الخاصَّ الَّذي أجراه معي لجريدة *"السَّفير"* المتميِّزة بأهلها ومضمونها على أثر صدور روايتي *"ماذا بقي من القتال"*، بعنوان عريض *"الحرب عمَّقت مسيحيَّتي"*، تلقَّيتُ عددًا لا يُستهانُ به من الاتِّصالات الَّتي حملت إليَّ عتبًا ولومًا.

الأحبَّة الَّذين اتَّصلوا وعاتبوا ذهبت مقاصدُهم إلى أنَّ الحرب زادتني تعصُّبًا، ومن العيب عليّ، أنا المُتنوِّرَ المنفتحَ، أن أعلنَ عن تعصُّبي، فبيَّنتُ لهم أنَّ ظنونَهم طاشت بهم عن الحقيقة، وهي أنَّ الحرب عمَّقت محبَّتي، ووسَّعت تسامحي، وصار غفراني أشمل!

وعلى هذا الأساس تميَّزت العقود السِّتَّة من تجربتي القصصيَّة والرِّوائيَّة الَّتي شبكت مساري في حلقة متماسكة بما ناءت بحَمله ظهور العيس في البيداء.

وطالما أنَّه لا إكراه في الدِّين، على النَّقيض تمامًا ممَّا في السِّياسة، حاولت أن أفكِّك بعض الأركان المفاصل الَّتي كان من شأنها أن تغيِّر الكثيرَ من المفاهيم والمدارك والطُّروحات والأنظمة والإيديولوجيَّات الَّتي تشابكت وتعارضت وتضاربت بين اللّحمة والسّدى، وكأنَّها المكُّوك في يد صابرة وراء النَّول تحيكُ سجَّادةً بحبكةٍ فارسيَّةٍ فيها من قمّ وأصفهان وتبريز وشيراز وكاشان والقدس ودمشق وبغداد وإسطنبول والقاهرة والجزائر وأم درمان وبيروت المطارفَ والفِقةَ المكمِّلَ للأَهوت.

وقد اكتفيتُ بالتَّحوُّلات من منطلق السَّببيَّة، من دون أن أحدِّد دوري من هذه التَّحوُّلات، كي لا يطول بنا الوقت! وتحاشيت الولوج من باب السِّيرة، فاخترت التَّاريخ، كي لا أكون الدَّيَّان، وأنا حتمًا الضَّحيَّة مع المليارات من أمثالي المسكونين بعبادة الله الواحد الأحد ولغة التَّنزيل.

لو سألتموني ماذا أتمنَّى اليومَ أن أكون، وأنا أعيش حالات يأسي وقلقي وكآبتي، لأجبت: أتمنَّى أن أكون قرصانًا صوماليًّا يهزُّ الضَّمير العالميَّ والمُستَكبرين، ويرفع الظُّلم عن المقهورين والمحرومين بإصبعٍ على الزّناد!

***

هذا، وكان ناجي نَعمان رحَّبَ بالحضور وبضَيفه، وتكلَّمَ على شامي، الصِّحافيِّ المُخَضرَم، والرِّوائيِّ السَّاخِر، ثمَّ جرى تقديمُ الضَّيف الكريم من قِبَل الفَقيه الدُّكتور ميشال كعدي، كبيرِ أعضاء دار نَعمان للثَّقافة الفخريِّين، والمُستشارِ الأوَّل لـــ "لقاء الأربَعاء". وقد شكرَ الضَّيفُ نَعمان وكعدي، قبلَ أن ينبريَ مُستَعرِضًا مسيرتَه الأدبيَّة انطلاقًا من تأثير التَّطوُّرات الَّتي عرفَها العالمُ العربيُّ منذ أربعينيَّات القرن الماضي عليه.

وتميَّزَ اللِّقاءُ بحضور حَشدٍ من مُحِبِّي الثَّقافة والأدب، من مِثل المحافظ السَّابق دياب يونس، والنُّقباء الياس عون وأنطوان رعد وفيليب الهيبي، والدُّكتورَين أنيس مسلِّم وإلهام كلاَّب البساط، والفنَّانين التَّشكيليِّين حسن جوني وعصمت الحريري وجاكلين الشّمالي، والأدباء والصِّحافيِّين والأساتذة ريمون عازار وجان كمَيد وجورج مغامس وأنطوان الخويري وإسكندر داغر وجوزف مفرِّج وشربل عقل وفرنسوا الحدَّاد وجلال شربل وأديب القسِّيس وجوزف مسيحي، والمُحامين ناهية عوَّاد وڤكتور هاشم ونبيل بو عبسي، إلى السَّيِّدة سعاد هاشم والآنسة ماري-تيريز الهوا.

وجرى، في نهاية اللِّقاء، تسليمُ شهادة الاستِضافة من نَعمان إلى شامي، فنخبُ المناسبة، وتوزيعٌ مجَّانيٌّ لآخر إصدارات دار نَعمان للثَّقافة، بالإضافة إلى توزيع أربعة كتب للضَّيف، أهداها إلى الحاضِرين، بحيث تتكرَّسُ مع الأيَّام مَقولةُ نَعمان بأنَّ *"المَجَّانيَّة، هي الأخرى، تُعدي"* !

لقاء
الرَّاعي بالكلمة والفِعل
الأب أغابيوس نَعُّوس

الأربَعاء ٣٠ آذار ٢٠١١

جعلَ كلَّ مَن يستمعُ إليه مستقيمَ الرَّأيِ والتـَّفكير

نبيل جبران الحدَّاد

أيُّها الحفلُ الكريم،

أنقلُ إليكم تجربتي الذَّاتيَّة، بكلِّ موضوعيَّة، مع الأب الجليل أغابيوس، علَّني بذلك أُضيءُ بعضًا من جوانبِ شخصيَّته الفذَّة.

قبلاً، كنتُ في حياتي العائليَّة، وسيرتي التَّربويَّة، ومسيرتي التَّعليميَّة، إنسانًا صارمًا، حازمًا، متشدِّدًا.

وأمَّا الآن، وبعد أن استمعتُ إلى الكثير من عِظاته، فقد أصبحتُ إنسانًا ليِّنًا، متساهلاً، متفهِّمًا، مسامحًا.

تُرى ما سببُ هذا التَّحوُّل؟

إنَّه، من دون أدنى شكّ، التَّأثيرُ المباشَرُ لهذا الواعِظ البليغ، وهذا الخادِم المتواضِع، وهذا الكاهن المؤمن كلَّ الإيمان.

مَن يسمعُه مرَّةً يعظُ، يتعلَّقُ به مرَّاتٍ ويقصدُه مرارًا. ليْتكُم تشاهدونه أمامَ الباب الملوكيِّ واقفًا بقامته الهيفاء، ينقِّلُ نظراتِه المحبَّةَ في الوجوه الشَّاخصة إليه، محوِّلاً الكلماتِ إشاراتٍ يدويَّةً ورسومًا فنيَّةً ولوحاتٍ تُجسِّدُ تجسيدًا المعاني، ببراعةٍ فائقة، لتصلَ إلى كلِّ مستمعٍ ومُصغٍ وتَرسخَ بوضوحٍ في ذهنه. ليس همُّه لحظةَ النَّجاح في شرح ما هو صعب، وتبسيط ما هو معقَّد، وإنَّما هاجسُه دائمًا التَّمكُّنُ من إيصال ما تتضمَّنُه الآياتُ والأمثالُ والحِكَمُ من معانٍ ودلالاتٍ ورموز.

أجل، إنَّ براعتَه تكمنُ في قدرته على نقل المضمون، ببساطةٍ كلِّيَّة، صورًا ملوَّنةً بالعفويَّة والجمال، فتنطبع بسهولةٍ مطلَقَة، ومن دون أيِّ جهدٍ، في مخيِّلة المُستمعين إليه باكتراثٍ كبير.

بعد كلِّ عظة، تعتريكَ مشاعرُ غريبةٌ لم تحسَّ بها من قبلُ، وتراودُكَ أفكارٌ جديدةٌ لم تخطرْ في بالكَ سابقًا. بالفعل، تشعرُ، وأنتَ المُصغي بشغفٍ كبير، بتحوُّلٍ في أعماق نفسكَ، والسَّببُ هو هذه النَّزعةُ الإنسانيَّةُ الَّتي تميلُ إلى الصِّدق، وتعجَبُ بالشَّفافية، وتُقدِّرُ الإخلاص، وتحترمُ الأمانة، وترتاحُ للعفْويَّة؛ وهذه الصِّفاتُ، بل الفضائلُ، تجدُها في كلِّ عظةٍ يُلقيها الأبُ أغابيوس.

لا تراه ينقلُ ما حضَّر، ويغيِّبُ ما حفظ، ويشرحُ ما درس، وإنَّما تراه يعيشُ الحالات، على أنواعها، ويعجنُها عجنًا دينيًّا، ثمَّ يخبزُها كلماتٍ روحيَّة، فيسهلُ عليكَ، أنتَ المؤمنُ، المتعطِّشُ إلى المعرفة الدِّينيَّة والدُّنيويَّة، هضمُها.

لا يمكنُكَ أن تقاومَ أناقةَ الكلمة، ورشاقةَ الفكرة، وسلاسةَ العبارة، وفرادةَ الشَّرح، وعمقَ المضمون. لذا، تدخلُ كلماتُ هذا الواعِظ الموجِّه دخولَ المحبَّة إلى القلوب، وترتسمُ ارتسامَ الجمال في العيون.

نعم، هكذا يتمُّ التَّحوُّل، وهكذا تتحوَّلُ العظاتُ غذاءً روحيًّا دنيويًّا يوميًّا، به تَقي العثراتِ، وبه تُذلِّلُ الصُّعوباتِ، وبه تنتصرُ على النَّزوات.

وأخيرًا، إنَّ نجاحَ هذا الكاهن الجليل، يكمنُ في أسلوبه في الوعظ، وسلوكه في الخدمة، وتربيته وتنشئته الدِّينيَّة، ورسالته الإنسانيَّة، ورغبته في المساعدة، ومحبَّته الإنسانَ، وتعلُّقه بالله. عرفَ هذا الكاهنُ حقَّ المعرفة كيف يغزو القلوب، ويُنقِذُ النُّفوس، ويجعلُ كلَّ مَن يستمعُ إليه مستقيمَ الرَّأي والتَّفكير.

يأخذُكَ في نزهةٍ إلى حديقةِ اللّه

نبيه الحدَّاد

أيُّها الحفلُ الكريم،

أن تُتاحَ لي المناسبةُ للتَّحدُّث عن سيرة الأب أغابيوس نعُّوس وِسامٌ يُعلَّقُ على صدري، وأعتزُّ به في كلِّ وقتٍ ما دامَ فيَّ عرقٌ ينبض.

وأنْ تكرِّمُه دارُ نَعمانَ للثَّقافة بادرةٌ تستحقُّ الشُّكرَ والتَّقديرَ والعرفان.

الحديثُ عن الأب الجليل يطول، والصَّفحاتُ تمتلئ، والقلمُ يشعرُ بالتَّعب، ومع ذلك لا نوفيه حقَّه. يكفيه فخرًا أنَّه تتلمذَ على يدِ سيادة المِطران جورج خضر السَّامي الاحترام، فغرفَ من معين فكره الدَّفِق ما أسهمَ إسهامًا فاعلاً في تكوين شخصيَّته الرُّوحيَّة، وساعدَ على تحوُّله من عالم الدُّنيا الزَّاخر بالماديَّات والأطماع، إلى عالم الدِّين الحافل بالرُّوحانيَّات والتَّسامح والفضائل الكريمة.

باختصارٍ كُلِّيٍّ، أقول:
ها هو يقفُ واعِظًا أمام مذبح الكنيسة كلَّ أحد، وها أنتَ تُصغي إليه بشغفٍ، بكلِّ أحاسيسكَ ومشاعركَ، فيوقظُ فيكَ ما استسلمَ في دخيلتكَ لسُباتٍ عميق، ويُجيبُ بدقَّةٍ لا مُتناهيةٍ عمَّا يدورُ في فكركَ من تساؤلاتٍ عن سرِّ الكونِ العجيبِ وعظمةِ تدبيرِ الخالق؛ وسُرعانَ ما يأخذُكَ إلى قرعِ بابِ الحقيقة، فتشعرُ بارتياحٍ عميق، وتطمئنُّ نفسُك، فتطردُ القلقَ الَّذي نسجَ خيوطَه المتشابكةَ في ثناياها، وتخرجُ من الكنيسة وأنتَ متأبِّطٌ زادًا روحيًّا لَطالما تمنَّيتَ أن تحصلَ عليه.
وعندما تصلُ منزلَكَ، تبادرُ إلى الاستِزادة بقلبٍ مشتاقٍ وحماسةٍ لافتة، فتفتحُ تلفازَك، وها أنتَ مجدَّدًا في حضرة الأب يُكملُ معكَ المشوارَ عبر محطَّة *"تِلي لوميير" (Télé Lumière)*، ويأخذُكَ في نزهةٍ إلى حديقةِ الله المُزدانةِ بالمحبَّةِ والمزروعةِ بالتَّسامحِ والغفران، فتُدركُ بعد عدَّةِ جولاتٍ معه أنَّ عالمَ المادَّة زائل، وأمَّا عالمُ الرُّوح فخالد، وأنَّ ما يحدثُ في الكون من صراعاتٍ داميةٍ ونزاعاتٍ مستمرَّةٍ وتقاتُلٍ بين الإخوة يكشفُ لك طمعَ الإنسان وجشعَه وبُعدَه بصورةٍ عامَّةٍ عن جوهر ما تدعو إليه الأديانُ السَّماويَّة. فتتمنَّى في قرارة نفسكَ أن يأتيَ يومٌ يتغلَّبُ فيه الخيرُ على الشَّرّ، مرَّةً واحدة، وإلى الأبد، بحيث تعمُّ المحبَّةُ قلوبَ البشر أجمعين، وينعمُ النَّاس، كلُّ النَّاس، بسلامٍ دائمٍ وطمأنينةٍ داخليَّةٍ وحياةٍ هنيئة.
ألا كثَّرَ اللهُ من أمثال الأب نعُّوس، وأمدَّه بالعافية، وأطالَ عمرَه ليتمكَّنَ من متابعة رسالته في توجيه المتردِّدين وإرشاد الضَّالِّين إلى ولوجِ طريق الحقيقة.

هو، في الأساس، مكتوبٌ من الكلمة

جورج عبَيد

أيُّها الكرام،

يرتمي قُدسُ الأب أغابيوس نعُّوس في واحة الكلمة، وهو عالِمٌ أنَّ الارتماءَ احتجابٌ في ضياءٍ لا يُرى، ومع ذلك يشاءُ أن يولدَ ونولدَ منه، بعد أن يغسلَ وجهَه بشعاعه، ويرتضي أن ينفجرَ من أحشائِنا، بعد غوصٍ يسيرٍ وعميمٍ في العشق الإلهيّ. مُسارُّو الله، نحتَتْهم السَّماءُ إيقوناتٍ تتحرَّكُ في هيكل الكون، وقد شاءَ لهم ربُّهم أن يكسروا ترابيَّةً فانيةً لا شأنَ لهم بها في الأساس، بعد أن قرَّرَ أن يسربلَهم حلَّةَ المجد والبهاء.

أليسَ هذا ما تعنون به في تكريمكم هذا الحبيب، وهذا ما يعنيه اسمُه؟ أنتم لا تكرِّمونه لأنَّه وجهٌ إعلاميٌّ ولاهوتيٌّ ومفكِّر. بل تكرِّمونَ فيه إيقونةً كتبَتْه كلمةً ملتهبة، إنَّها إيقونةُ المسيح المعلَّق على الخشبة، والمنتصرِ على الموت بالموت، أي بالقيامة. بهاءُ الفكر والأدب والشِّعر والموسيقى وما إلى ذلك لم ينبلجْ، ولم يعلُ، لو لم يُكتَبْ بدمٍ صارَ حبرًا وريشةً ولوحةً ولحنًا... كلُّ جمالٍ مديدٍ يأتي من لهبِ وجهٍ هو رحمُ ولادةِ كونٍ جديدٍ أضاءَه فجرٌ جديد. أغابيوس نعُّوس لم يكتُبْ شيئًا، ولم يقُلْ يومًا إنَّه كاتبٌ وواعِظ. وإذا أدركتموه واعِظًا ومعلِّقًا ومواجهًا على شاشةٍ صغيرةٍ تملأُ قلوبَنا فرحًا، فلأنَّه، في الأساس، مكتوبٌ من الكلمة. كلُّ جمالٍ تعاينونه وتذوقونه متفجِّرٌ من الكلمة الَّتي بها كان كلُّ شيءٍ، وبغيرها لم يكنْ شيءٌ ممَّا كُوِّنَ. الكلمةُ مصدرُ الكلمات المنَجِّيَة من الموت، والَّتي تنسكبُ من الأبرار والأخيار، بعد أن يكونوا قد اختُطِفوا بنجاوى الرُّوح ورؤى الفكر.

في كلِّ مرَّةٍ كنتُ أبحثُ عن الأب أغابيوس، كنتُ أعثرُ على قامةٍ من نور، تمتدُّ من المدى لتُخبرَنا عن اللاَّمدى. في الأساس عائلتُه، وبخاصَّةٍ، جَدُّه، مولودٌ من اللاَّمدى. ذلك أنَّ ثمَّةَ بشرٌ وُلدوا من مشيئة لحمٍ ودم، ولكنَّ بشرًا آخرين أبطلوا عنهم فِعل التُّرابيَّـــة، ولم يأبهوا لتراب الأرض، وإن فـــاحَ طيبُ ترابها بعد أوَّلِ

مطرٍ تشرينيّ، بل جعلوا عيونَهم مشدودةً إلى السَّماء، وآذانَهم متلقِّيةً نداءً مغلَّفًا ببخورٍ احترقَ بنارِ الأزليَّة، فنسوا الأرضَ وما عليها من جمال، بل قالوا إنَّ الأرضَ قادرةٌ على أن تصيرَ قطعةً من سماءٍ إذا تحرَّرَت من تموُّجات النَّوازع البشريَّةِ المَقيتة. الخوري أغابيوس نعُّوس، المزروعُ على رابيةٍ جميلةٍ وراقيةٍ من لبنان، عرفَ في مسيرته المشدودة إلى صليب الحقّ، أنَّ كلَّ جمالٍ يجبُ أن يظلَّ سَطوعًا للحقّ، إذا تغمَّسَ بدم وجهٍ أطلقَ الشّهادةَ ثورةَ تغييرٍ تصبو إلى نحت إنسانيَّةٍ جديدةٍ تتجدَّدُ بالنِّعمة. والحقُّ في مسيرته متوسِّلٌ للخير. وإذا جاءَ التَّوسُّلُ قرينًا للمعرفة، فإنَّه يُنتجُ قدرةً على فعل الخَلْق بعدما فهمنا في صلب لاهوتنا أنَّنا آلهةٌ ممسوحون بضياءٍ كانَ دمًا مهراقًا على الخشبة، بإلهٍ تمزَّقَ طوعًا ففجَّرَ تمزُّقُه كمالَ الجمال.

الأبُ أغابيوس نعُّوس تعمَّدَ بهذا الجمال، ولم يأنَفْ عن الاستمرار في تأكيد معموديَّته، ليرميَها علينا وُشاحًا من ذهب.

يا أيُّها الحبيب، بورِكَ تكريمُك، ونحنُ معًا نحملُ صليبَ المعلِّم ونطوفُ من مكانٍ إلى مكان، لا جوعٌ ولا بردٌ ولا ظلمٌ يفصلُنا عن محبَّته، فهو راقدٌ كما كتبَ حبيبُك وحبيبُنا المِطران جورج خضر في ليل الثَّقافات والأديان، وأنتَ تناولتَه وتتناولُه قربانَ كونٍ جديد.

إلى أن تضمحلَّ الظُّلماتُ الكثيفة، سلامٌ عليكَ وعلى مُكَرِّميك، سلامٌ على زوجةٍ وغادةٍ متألِّقةٍ بمحبَّتِها وتفانيها وكِبَرِها، وسلامٌ على مسعى ليس له سوى أن يعلنَ دومًا أنَّنا وجهُ الله، في بهاءِ الحضورِ وألق الوجود.

الأب أغابيوس نعُّوس، مُبارَكُ النـَّفس

ميشال كعدي

يومَ ارتفعَ صوتُهُ بالبكاءِ، أعلنَ نَذْرَه الأوَّلَ إلى اللهِ، قبلَ لَفِّ الأقمطةِ على الجسمِ

اللَّدْنِ، ثمَّ راحت تتجسَّدُ فيه معالمُ الكهنوتِ، والأسرارُ السَّبعةُ؛ وأمَّا السُّلطانُ الَّذي أُعطيَ له فزادَ مِن إيمانِهِ ومحبَّتِهِ لخدمةِ ربِّه والكنيسة.

على أنَّني عرفتُهُ بعدَ أَن أَكملَ نذورَهُ اللاَّهوتيَّةَ والكهنوتيَّةَ، وبعدما انقطعَ إلى جَمْعِ العِلمِ في تقشُّفِ العبَّادِ، يريدُ مِن صَدَقتِهِ المثوبةَ لا المكرُمةَ، وفي الملامحِ القدوةُ، والوُدُّ الصَّريفُ. فهذا الحزومُ، يذكِّرُكَ بِغَضرِ النَّاصيةِ، وبالرُّسلِ القُدامى، والكتَبَةِ الَّذينَ وقفوا العُمرَ لموضوعٍ، أَو لبشارةٍ، فهانَتْ لديهم الأمورُ، أَملاً بعزٍّ غدويٍّ، وإرضاءً لربِّ الأكوانِ والضَّمير.
لا أعرفُ ما الَّذي يجعلُني قريبًا من الصَّلاةِ والخشوعِ والدِّينِ، ساعةَ أتحدَّثُ عن الأبِ أغابيوس نعُّوس.

ميمونُ النَّقيبةِ هذا، مباركُ النَّفسِ.
ولأنَّهُ عَمِلَ في المحامدِ، وتجنَّبَ الخصاصةَ واليبوسةَ، وقد شخصَ ببصرِهِ إلى فوقُ، أَراني أشعُرُ للتَّوِّ بكفافِ الصَّوامعِ، وَمَسْحِ أصابع القدِّيسينَ تطولُ الهياكلَ والمحاريبَ وجدرانَ الأديارِ، والأعمدةَ، ومغاورَ العباداتِ، والعتباتِ الَّتي بَرَتْها قاماتُ المؤمنينَ، والرُّتُجَ الوطيئةَ، كأنَّما أخيلتُهُم من خيوطِ القداسةِ والصَّلاةِ الدَّائمةِ.

الأب أغابيوس نعُّوس.
قُصاراهُ أن يجودَ مِن قولِ المسيحِ.
فقد أغلقَ على الحَلَقاتِ الألفِ في الإذاعاتِ والشَّاشاتِ الصَّغيرةِ، وإن أعطى السَّائلَ نافلةً مِن إيمانِهِ، تراهُ ينفحُهُ مِن المسيحيَّةِ بوعدِ اللهِ، ونهوضِ مَن وقفَ إلى جانبِ الرَّبِّ.
طعامُ هذا اللاَّهوتيِّ الكبيرِ يُنجعُ ويُستمرأُ، وأمَّا حكمتُهُ فمن سَدادِ الرَّأي والقَبولِ بهذا القولِ: *"أمرتُكَ بالخيرِ فافْعلْ ما أُمِرْتَ به"*.

هذا الكاهنُ مزيجٌ عَجَبٌ.
إذا خاطبَ النَّاسَ، تــراهُ مشدودًا إلى روحانيَّةٍ عميقةٍ، مستمدَّةٍ مِن لَــدُنِ الخالقِ،

وإلى عقلٍ يُضاءُ في اللَّحظاتِ الحاسمةِ مِن فوقُ، ولَكم يأتيهم في مصافاةٍ ومعاونةٍ، حتَّى لا نقول، إنَّه بَرٌّ، فائِضُ المكارمِ، مِنعامٌ، لا يتوانى في نجدةِ نفسٍ، وما قصا عن محتاجٍ.
ويومَ يُطلبُ إلى المساعدةِ، يهبُّ بفرحٍ تاركًا الكُتُبَ السَّماويَّةَ وسواها مفتوحةً لينفعَ الملأَ.

الأب أغابيوس نعُّوس.
يضيقُ النَّهارُ على وُسعِهِ مضروبًا بليلهِ، فالأربعُ والعشرونَ قليلة. فالرَّجلُ يَرْشَحُ بعرق الخلال.
إنَّه في التَّوجيه والإرشادِ والقولِ الفاعلِ، خيرُ مَن رَسَمَ وجهَ اللهِ، فهو دؤوبٌ في متابعةِ الرِّسالةِ كفيًا، ولا غروَ، فهو حاملُ لواءَ التَّقوى، وتوحيدَ الكنيسةِ في المعتركِ المسيحيّ.
ومن عطاءاتِهِ أنَّه ينمِّي المكانةَ الَّتي كَلَّفَ نفسَه بها على وَهْجِ الصَّوابِ ومسالكِ الحقِّ، وكلُّ ذلكَ على خطِّ الرَّجاءِ والسُّلطانِ الَّذي نالَه من اللهِ، ولا عجبَ فالنّخبةُ لا تتلوَّى في مردَّدِها ولا تتعوَّج.

الأب نعُّوس.
من الأدلَّةِ اللَّوامعِ، فالطَّاقةُ الفاعلةُ لغَير مجال.
قدرتُهُ ما كانت يومًا عصيَّةً على الجَمْعِ والشُّمولِ، فهو بصيرةٌ، يصقلُ الخاطِرَ، صادقُ الحملةِ، وحسبُه العقل المغوّر ساعةَ المعنيُّ الله والدِّين، عندها، يُعدِّي ميزانَهُ عن البُطْلِ، ويُلبِسُ الأُمورَ لُبُوسها.

رجلُ الدِّينِ هذا، ما رأيتُهُ مرَّةً في إعجازٍ.
المشكلاتُ عنده إلى حلٍّ، وإن كانَ السَّعيُ على الأشواكِ؛ فهو يقتحمُ الصِّعابَ متَّكلاً على الرَّبِّ، ثمَّ يكشفُ المبهماتِ بشمولِ نظرٍ، وباعٍ بسيطٍ؛ وأمَّا الثِّقةُ فعلى بلوغٍ، والقولُ يحلُّ بليانِ الأُسرةِ، ورضى المؤمنِ، ونَعَمِ الرُّوحِ القُدُسِ، ومملكةِ الآبِ المباركةِ.

وبَينا هو في شرفِ رسالتِهِ، وقيامِهِ بالواجبِ الكهنوتيّ، أوتيَ محابَّ الأفئدةِ الَّتي أجمعَت على قدرِه.
على أنَّ القربَ منه محبَّةٌ، بل فرحٌ بمقدِمِهِ، ولا شكَّ، فهو ثَبْتُ الجنانِ؛ وأَمَّا الإثباتُ فقد غدا منه على غيرِ جفافٍ، ثُمَّ هو في كلِّ شيءٍ بأعلى مناطِهِ.

يا أبتِ.
إنَّنا معشرُ آخرِ النَّهارِ، متعبونَ.
فما أحوجَنا إلى قولِ اليقينِ المحذوفِ منه الفضولُ، والشُّكوكُ، والقربِ من خالق الحَيوات والدُّنيوات.
فشكرًا لكَ تلوِّحُ لنا بالعافيةِ والرَّاحةِ والطّمأنينةِ الدَّاخليَّةِ بعد العناءِ.
وأمَّا أَنتَ فلا تخفْ مِن محبَّتِنا لكَ وإعجابِنا.
هيِّنٌ عليكَ أَن تدخلَ إلى أعماقِنا.
وإذا كانَ لنا مِن حقوقٍ عليكَ، فنرجو أَن تقولَ ما يُريحُ نفوسَنا، وأَرواحَنا.

أهلاً بكَ مكرَّمًا في دارِ نَعمانَ للثَّقافة.

أنوارٌ مَشرقيَّةٌ في حياتي

الأب أغابيوس نَعُّوس

أيُّها القَيِّمون الأكارم على دار نَعمان للثَّقافة،

هذا التَّكريمُ المشكورُ يجب ألاَّ يكونَ لضَعف البشرِ الَّذي أتلبَّسُهُ، وإنَّما للنِّعمةِ الإلهيَّةِ الَّتي للنَّاقصين تكمِّل، وللمرض تَشفي، وللمأسورين تُحرِّر.

إنسانٌ بسيطٌ أنا مملوءٌ بالشَّهوة والهوانِ، لا وزنَ ولا قيمةَ في عينَيَّ لتُرابيَّتي السَّاقطة، إذ التُّرابُ سيبقى للتُّراب، وإنَّما الوزنُ الَّذي أشتهيه هو تحقيقُ الرُّوحِ القدسِ فيَّ، فالكتابُ المقدَّسُ قال: *"أنتم هياكلُ الرُّوحِ القدسِ"*.

من عائلةٍ قدسيَّةٍ أنا؛ زرعَ فيها قُدسُ المثلَّث الرَّحمات الأب أغابيوس نَعُّوس الأوَّل بذارَ التَّقوى، وأنمى فيها حبَّ الانفصال عن مضارِّ العالم، لعِلمه أنَّ الإنسانَ المقدَّس، هو المفروزُ للكلمةِ الإلهيَّةِ، والمقطوعُ طوعًا عن أناه، كي يُبرزَ فيه وَجهُ العَلِيّ.

الإيقونةُ الأرثوذكسيَّةُ الَّتي نحتَها الجَدُّ في القلوب هي إيقونةُ الوجهِ الدَّامي، الَّتي للمسيح يسوع. **فأضحى الدَّمُ المهراقُ حُبًّا لفداء النَّاس، هو الغذاءُ الإلهيُّ المَسكوب في آنية البشر كي يرتشفَ منه الإنسانُ ولا يموت.** فالموت في لغة الاستقامة هو المَعبَرُ الحقيقيُّ للنَّاس. النِّعمةُ المجَّانيَّةُ الَّتي أفاضها يسوعُ من القبر، **لئلاَّ تستشريَ الخطيئةُ في الأبدان.** ماتَ المسيح *"فتبرَّأَ الإنسانُ من الخطيئة"*.

أحلامُ الطُّفولةِ سُلبَت من أترابي وبَني جيلي، بعد أن هبَّت رياحُ الآلام العاصفةُ، وأطبقَ التَّهجيرُ بفكَّيه على قريتي، **الَّتي ما زلتُ أشعرُ بارتحالي الكيانيِّ إليها، كلَّما تمادت عليَّ صفعاتُ الكبرياء الموجودةُ أحيانًا في مدى رعايتي.** هاجرنا، ومن دونِ قصدِ المُهجِّرين، إلى وطننا الحقيقيّ. وتركنا رُكامَ الموتِ عندما أممنا الأديار. تَفَتَّحت هناك قلوبُنا، **وشعرنا أنَّنا مواطنو السَّماء.** فالرُّهبانُ القلائلُ الَّذين رأتهم عيونُنا البشريَّة، كانوا الغمامةَ المرافقةَ لارتحالنا والتّجوال، لا بل العزاءَ الَّذي يرافقُ المُتعَبين من جَرى القهر المستبدِّ، كوننا فقط نصارى، وخطيئتُنا أنَّنا وُلدنا على اسم المسيح.

تفتَّحت عيناي في سوريا على أُمناءٍ للمسيحيةِ كُثُرٍ، ترجموا الكتاب المقدَّس عملاً. إستضافوا بؤسَنا، فكانت الأقلِّيَّـــةُ المسيحيَّة، على الرَّغم من الهشاشة البادية بجلاء على مُحيَّانا، تَنشدُ فينا

وجهَ المسيح. يسوعُهم الدَّامي يَئِنُّ مشتاقًا إلى لقاء مسيحِنا الجريح. المسيح مستمرٌ نزفُه ما دام الإنسان مُلقًى في أتون البغض والشَّرذمة. نحن لاحَظنا بدورنا فيهم هامةَ يسوع المكلَّلةَ بالشَّوك من جرَى الفَقر والبؤس اللَّذَين كان المستضيفون يعيشونهما. فالشَّبيهُ وحدَه يعرفُ الشَّبيهَ.
حطَّ بنا الرَّحيل، في مرفإ المنِطقة الشَّرقيَّة من بيروت حيث الأكثريَّةُ المسيحيَّة، بعد أن تقاذفت أمواجُ البحر باخرةَ المواشي الَّتي كانت تُقِلُّنا. فسكَنَّا بيوتاً مُصادرةً أوَت أيَّامنَا لسنين طوال. هناك ضياءُ الدَّعوة الحركيَّة اختطفَني. فتتلمذتُ على إلهامات المِطران جورج خضر الجزيل الاحترام، الَّذي نفحَ حياتي وحياةَ النَّهضويِّين بعِطر النَّسمات الإلهيَّة. فقرأت المكتبةَ العربيَّةَ الرُّوحيَّةَ الفقيرةَ آنذاك بالكتب المُلهَمة؛ إكتشفتُ من خلالها أنَّ النِّعمةَ الإلهيَّة الموجودةَ في تسليم مَن عاشرتُ من آباءٍ وقدِّيسين (من العائلة أم من خارج العائلة) إنَّما مطابقةٌ لما جاء في الكتب. وعلمتُ حينها أنَّ الكنيسةَ الحيَّةَ هي المُنشئةُ للكتب المقدَّسة وليس العكس *"لأنَّ الحرفَ يقتل، أمَّا الرُّوحُ فيُحيي"*. المسيح نفسه لم يكتُب حرفًا واحدًا، وإنَّما قال: *"تعالَ وانظُر"*. حينها ثَبُتَ إيماني بالأرثوذكسيَّة الَّتي تعطي بهاءً للتَّقليد الشَّريف المتوارَث من فمٍ إلى فمٍ عَبرَ دفق الرُّوح القدس. فهي المؤتمَنةُ والأمينةُ على تسليمات القدِّيسين. فلا يفسِّرُ عندنا الكُتبَ المقدَّسةَ إلاَّ الكاتبُ، أعني الرُّوحَ القُدُسَ المزروعَ في القلوب الطَّاهرة المُشتاقة إلى المعاينة.

وعى أبي الرُّوحي (الأخ رشيد سابقًا) قُدس الأرشمندريت الأب الياس ناصيف (اليوم)، مركزيَّةَ التَّسليم، لكنَّه خشيَ أن يضيعَ الكتابُ المقدَّس (صُلْبُ التَّسليم) بين كثرة الاهتمامات، ويوضعَ على الرَّفّ. فأصرَّ على أن يكون الإنجيلُ لبَّ التَّعليم والإرشاد ضمنَ المجموعات المنظَّمة في مِنطقة سنِّ الفيل حيث تربَّيت. هناك، لَطالما أكَّد لنا الأخ رشيد حرصَه الدَّائمَ ألاَّ يُهدَرَ حرفٌ واحد، أو نقطةٌ واحدةٌ سُدًى. فكلماتُ الكتاب لا بدَّ أن تتساقطَ في القلوب كالمطر الَّذي لا يمكنُ أن يرجعَ فارغًا. فنحن لا نتعلَّمُ عن الله، وإنَّما نُعاينُهُ. نعيشُ الكلمةَ ونحيا بها. المسيحُ حاضرٌ في كلِّ حين، يَوَدُّهُ العالمُ ويفتِّشُ عنه من دون أن يعرفَه. فعلينا تقعُ المسؤوليَّةُ بأن نوقظَه في ليل الأديان الأخرى (للمِطران خضر). لذا، صرخة رشيد المدوِّية: إقرأوا واحيَوا بالإنجيل لأنَّكم إنجيليُّون أكثرَ من أيِّ إنجيليٍّ في العالم. فأنتم مَدعوُّون بالنِّعمة أن تكونوا أناجيلَ مفتوحةً يقرأُها كلُّ أمينٍ وصادق.

رأيت في مُرشديَّ الحركيِّين أيضًا قاماتٍ نورانيَّةً تبذلُ الدَّمَ من أجل أن تبقى الشُّعلةُ مؤجَّجة. فالدِّراسةُ مع التَّوبة والاعتراف نهجٌ؛ والعيشُ للأسرار الإلهيَّة شغفٌ. الحياةُ الإلهيَّةُ بإيمانهم جميلةٌ في مداها الآتي وليس في الحنين إلى ماضيها. فسرُّ الشُّكر عندهم وثبةُ وجودٍ أُخرَويّ، نتلمَّظ به ما سوف يأتي. لا تَخاذُلَ أو إقصاء، هو الانخراط الحقيقيُّ في حاضرة الوهج الإلهيِّ الَّذي يفوقُ وهجُه كلَّ وهج، لأنَّه الوهجُ (بـــ أل التَّعريف) الَّذي لا يُدنى منه إلا بالنِّعمة.

القادةُ الكنسيُّون، الَّذين تتبَّعتُ خُطاهم، عملوا وعلَّموا أنَّ الحقَّ المُعلنَ في البشارة السَّارَّة هو المرجعُ القانونيُّ المُلهمُ والوحيدُ الَّذي ثبَّته الآباء القدِّيسون بالدَّم. هو نفسُه الإعلانُ الإلهيُّ الباقي بعد أن تقاذفَت أمواجُ الجحودِ والإلحادِ أحرفَ البِدعِ إلى يَمِّ الكنيسة المنتصرة في القرون الأولى. كثيرةٌ هي الكتبُ الأبوكريفيَّةُ الَّتي حُذِفت في المجامعِ المسكونيَّة، وكثيرةٌ هي الأفكارُ الهَرطوقيَّةُ الَّتي ديسَت تحت أقدام الظَّافر يسوع. الإستقامةُ من تلك الحقبةِ تتوارثُ القيَمَ المقدَّسةَ والدَّفقَ الإلهيَّ، مُحصَّنةً بالعامِلِ فينا أبدًا، أعني الرُّوحَ القُدُسَ، الَّذي لا يهدأ ولا يستكين في أبناء النُّور.

أطلَّ مرَّةً ربيعُ الصِّيامِ حين كنَّا تحت وابل القصف العشوائيِّ الَّذي يخنُقُ الأنفاس. تجربةُ المسيح على جبل الزَّيتون خِلتُها أضعفَ من تجربتي. الإنقسامُ حادٌّ في داخلي: تتنازعني رَغبةُ الصِّيامِ وقهرُ الشَّيطانِ من جهة، وحَملُ السِّلاحِ المرفوضِ من العائلة للانتقام من جهة ثانية. الرِّفاقُ في درب الجهاد يُصلُّون ويتقشَّفون، والصَّحابةُ في معارك البطولة يقصفون. يواجهون النَّارَ بالنَّارِ ويكيلون مكيالَين. المسيحيَّةُ مهدَّدةٌ وبقاءُ المجتمع المسيحيِّ قائمٌ عليك يا ريمون. الوالد والوالدة بالدَّمع يغلِّفان أجسادَنا، ليس من خطر الموت وحدَه، بل من خطر الفساد والانزلاق في معارج الأحزاب أيضًا. لكنَّ الدِّفاع عن المسيحيَّة يأسرُ كِياننا. فإذا بأحد الإخوة يقول عن تجربة الصَّمت المنيرة، وعن استرداد الكيان من أَسر الانتقام بالصَّلاة. فالدَّيرُ هو الحلُّ الوحيد. فقد يُطفىءُ فتيلَ الحقد الَّذي في داخلي، وبخاصَّةٍ على مَن هجَّرنا واستباح أرضَنا. التَّجربة لن تضرَّ ما لم تنفع. فقررَّتُ الالتحاق بدير مار مخايل – بقعاتا على يد المتوحِّد أفرام كرياكوس (مِطران طرابلس اليوم) الَّذي ترك ملاذ البسيطةِ بعد أن اختصَّ بعلوم الدُّنيا. فقد يكون بدوره الهادي إلى العفَّة بكلِّ أوجُهِها.

في بادئ الأمر، كنتُ أزورُ الدَّيرَ مرَّةً في الأسبوع، وليومٍ واحدٍ أختلي به. بعدها، ازدادتِ الخلواتُ حتَّى أصبحتُ أحمل خَلوتي على ظهري أينما حلَلت. في الحقيقة، كانت أيَّامَ غِبطةٍ أفتقدُها بعد أن فقدتُها بفِعل انشغالي، والأيَّام. هناك، مع الصَّلاة، استذكرت ما زرعهُ فيَّ الأهلُ. فأبي وأمِّي، اللَّذان أركعُ تحت أقدامهما شاكرًا ومُستَسمِحًا، نحَتا فيَّ مفهومَ القوَّة الحقَّة، معلِّمين إيَّاي أنَّ حكمَ القوَّة في الآنية الخزفيَّة يتبيَّنُ من محتواها وليس من جوهر طبيعتها. للصَّانع وحدَه الحقُّ أن يسكبَ فيها من جواهره ما يشاء. لا اعتراضَ عندها ولا استعلاء. إستمرارُها محكومٌ عليه بالإرضاءِ والارتضاء. للبارىء فَنُّ التَّلوين والتَّشكيل فيها لئلاَّ يبقى للأبدان إلاَّ وجهُ المثولِ الصَّاغر. فبالحبِّ والاستسلام للمشيئة الإلهيَّة تكون المَنظومة الدِّفاعيَّة المُثلى. حينها تغدو آنيتي الخزفيَّةُ جمرةً محرقةً الخطيئة، وضَّاءةً وقاهرةً الظُّلمةَ والموت.

المسيح هو الظُّلمة القصوى، الَّتي لا يُسبَرُ غورُها ولا يُعرَفُ جوهرُها ولا قصدُها. فهو يُدانى بالنِّعمة (بحَسَب اللاَّهوت التَّنزيهيّ). فنحن اليومَ، بمؤازرة النِّعمة، نستطيع أن نستوليَ على النُّورِ

الإلهيِّ بالدَّمع، الَّذي يصبحُ بمَنزلةِ الحجابِ الرَّقيقِ المُخفِّفِ من بهاء اللَّهيبِ الباهرِ الضِّياء. التَّنازلُ الإلهيُّ رَوحَنَ الوجود. *"تجسَّد الإله كي يتألَّهَ الإنسان"*. فالإله الأزليُّ الَّذي لا ابتداء له ولا انتهاء، أخلى ذاته آخذًا صورةَ عبدٍ، صائرًا بشرًا. إقتبلَ الأعظمُ الأدنى، لا عن اضطرار، فرفعَنا من العبوديَّة إلى حرِّيَّة أبناء الله. وسلفًا أفاضَ النِّعمةَ علينا نحن أبناءَ المَعصية. إمتدَّ إلينا حبًّا وتواضعًا، وما يبقى علينا إلاَّ أن نمدَّ اليد للاغتراف منه ما استطعنا.

في الدَّير، أرشدوني أن أستبدل سلاحَ الحرب بسلاح المحبَّة الَّتي لا تُقهَر. نصحوني أن أدافعَ عن الشَّرق المسيحيِّ لا بالقتل، وإنَّما بالشَّهادة الصَّادقة والاستشهاد الَّذي مارسَه آباؤنا. فكلُّ مَن كان منهم تحت أنيابِ الوحوش، كان يُقدِّمُ باختياره قربانًا زكيًّا على مذبح الرَّبّ، يتناول منه الكثيرون فيرتدُّون إلى الحضن الأبويّ.

في دير مار مخايل الَّذي كان الرُّهبان الشُّجعان يسكنونه، أخذتُ القرارَ بأن لا أهدأ ولا أنامَ قبل أن أجدَ مقرًّا للرَّبِّ ومسكنًا لإله يعقوب. لكنَّ الخيبة دائمًا ترافق المتَقَلقِلي العقول مثلي. شاهدت أرضَ الميعاد فيه لكنَّني لم أدخلْها لضَعفي. عرفت أنَّ الحربَ الرُّوحيَّةَ ليست ضِدَّ لحمٍ ودم، وإنَّما ضدُّ الأجناد الرُّوحيَّة الَّتي في الجوّ. فهي أفظعُ، وبما لا يُقاس، من الحرب اللُّبنانيَّة. شاهدت هناك بطولاتِ النّسَّاكِ، والأدويةَ العلاجيَّةَ عندهم ضدَّ الضَّجر والشَّراهة والاغتياب وحبِّ المال والأنا والكسل والكبرياء والنَّميمة، وغيرِها من الرَّذائل. والأهمُّ الأهمُّ أنَّني عايَنتُ الدَّمعةَ المفرحَةَ الَّتي كانت ترطِّبُ أجفانَهم، فتجعلُ منهم آنيَةً لحلول الرُّوح. إعتمد الإخوة بجُرن الدُّموع المنقِّي؛ عرفتُ منهم، وبالاحتكاك أيضًا، أنَّ أماتة الشَّهوات تبدأ بالنّوح على الخطايا، وأنَّ اللِّقاءَ الأخيرَ مع الرَّبِّ لن يحملَ معه إلاَّ الدَّمعَ والعبراتِ. فالإنسانُ سيُدانُ بموجب العَبَراتِ الَّتي ذرفَها أو لم يذرفْها.

بعد فترة ترقُّب، أمرَني الأبُ الرُّوحيُّ المرافقُ، بحُكم الطَّاعة، أن اختبرَ الحياة الرِّعائيَّة. فنصحني أن ألوذَ بدير البلمند لدراسة اللاَّهوتِ وصَقْلِ الموهِبة. لكنَّ الأهلَ المحبِّين تخوَّفوا من هذه الخُطوةِ الَّتي ربَّما أفشلُ أيضًا في خَوض غمارها، فأكونُ من دون مهنةٍ أعتاشُ منها. فما كان عليَّ إلاَّ أن أُطيعَ وأدرسَ الفيزياء في الجامعة اللُّبنانيَّة متسلِّحًا بالعلومِ الدُّنيويَّةِ لمواجهة الأخطارِ المادِّيَّةِ المُداهمةِ شِئنا أم أبَينا. تخرَّجتُ سنة ١٩٨٨ بإجازة الماجستير. أمضيتُ سبعَ سنوات في البلمند كتلميذ، وبعدها كأستاذٍ محاضرٍ ومسؤولٍ عن الحياةِ الدَّاخليَّة في معهد القدِّيس يوحنَّا الدِّمشقيّ.

لله دَرُّ العناية الَّتي دبَّرت حياتي، وما زالت تدبِّرَها. إنَّني أرى تدخُّلاً واضحًا للنِّعمة في مسيرة وجودي. إستسلمت وسُلِّمْتُ ولم أنتظرْ يومًا! شعاعُ الرُّوحِ منحَني القوَّةَ بأنْ أختارَ طريقي وأتفحَّصَ مصيري. مدارسُ الأحد الَّتي تسلَّمتها والشَّبيبةَ مع العمَّال والمتزوِّجين عَجَنَتني، وجعلَت فيَّ الشَّوقَ لتحقيق كمـــال الموهِبة الَّتي أؤمنُ أنَّها لي. فالتَّعليمُ والرِّعايةُ الرُّوحيةُ دربي

والموهبة. البلمند فتحَ لي الباب على مصراعَيه. أنشأني على السَّعي للخدمة والخَطابة الَّتي أتمنَّى أن أخوضَ غمارَهما الفسيحَةَ يومًا.

أجواق الشَّبيبة في ددِّه – الكورة واجهَتني مع الحقيقة الَّتي كنت أصبو إليها في داخلي، على الرَّغم من تمرُّدي الخارجيّ. فالتقيتُ ملاكَ حياتي، غادة جبرائيل الزَّاخم (زوجتي الآن)، إبنةَ العزِّ ووريثةَ التَّربيةِ الوالديَّة. فأعطَت زواجي، بلطفها وشهامتها وطول أناتها، بُعدَه الأخروَيّ. هي نسجت بدموعها من خلال المعاشرة حُلُمَ كلِّ أبٍ وأمٍّ بأن يلدَ أبناء للملكوت.

تقبَّلتُ بعدها سرَّ الكهنوت على يد صاحب السِّيادة المِتروبوليت جورج خضر محاولاً أن أتفحَّص أفلاكَه لعَجرفَتي. ولكنَّ السِّرَّ لا يحتملُ فحصًا. فهو مُعلَنٌ حتَّى لأبناء المَعصية لأنَّ الكاهنَ الحقَّ هو الَّذي يكون على شاكِلَة الكاهن الأعظم المذبوحِ طوعًا عن الخراف، والباذلِ نفسَه أبدًا. كهنوتي الوظائفيُّ فتحَ لي أبوابَ الخدمة على مصراعَيها. شغلَني في قضايا النَّاس ومِزاجيَّةِ الأُرثوذُكس حتَّى الثُّمالة. وسَّع فمي وأطلق لساني لدرجة أنَّني أصبحتُ أشعرُ بالتَّماهي بين الكلمةِ الإلهيَّة والكلمةِ المنَطوقةِ باللِّسان. علمتُ أنَّ الرُّوح القُدُس هو الَّذي يتكلَّم، وليس على الكاهن إلاَّ أن يصمتَ ليتكلَّمَ يسوع. فلو تكلَّم هو، وبرز، لضاع يسوع وكُمَّ فمُه. حينها يصبح النَّاس أتباعًا للهوى، مُنخدعين بمَن يدَّعي اللاَّهوى. فضيلة الكاهن في أن يَكهنَ لله من دون سواه، مهما نالت منه الضُّغوط، حتَّى لا يمدَّ النَّاس أيديهم إلى المآثم، معتقدين أنَّهم أبناءُ الملكوت، وهم أبناء للجحيم.

الرَّعيَّة هي في الحقيقة المدرسةُ العظمى للكاهن. فيها القدِّيسُ وفيها المُنافق. ولكنَّ النَّاسَ، في آخر المطاف (وبِحَسَبِ خِبرتي)، في أغلبهم أطهرُ من كاهنهم وأكرَم. فهم مدخَلُ الكاهن إلى الفردوس. بضَعفهم أقوياءُ وبحكمتهم فُقهاء. والمُقرَّبون منهم قدِّيسون، فقد أنشأوا بمهاراتهم وصدقِ التزامهم ما لا يُصدَّق. بَنَوا البشرَ قبل الحجر. غايتُهم إرضاءُ الله لا النَّاس. سَعيُهم أن يتمجَّدَ الله في المِنطقة الَّتي حُرمتِ الكنيسةَ الأرثوذكسيَّةَ الَّتي يتلمَّسون فيها وجهَ العَلِي.

في الختام، دفقُ الألوهة اليوم، يؤتيني فرحًا لتحسُّسي عبورَ الكلمةِ المُتأصِّلة في بيعتي، إلى مَن هم أربابُ الكلمة، فبادلوا جفافي بيُمن التَّكريم الَّذي لا أستحق. دافعين إيَّاي من حيث لا يَدرون إلى التَّنقيب في تراث آبائي عن قبس الرُّوحِ القُدُسِ الَّذي يُكلِّلُ بالمجد الأطهارَ الَّذين كافحوا "الأنا" وسَمَوا إلى علوِّ السَّماء الدَّاخليَّة، كونَهم ثَبتوا على الأمانة والعهد. فالسَّماء عندنا لا يُصعَدُ إليها، وإنَّما يُهبَطُ بها إلينا. فأنتَ أيُّها الإنسانُ فاقدٌ السَّماءَ ما لم تحدِّقْ في باصِرَتك إلى سماء القلب.

الخبزُ الجوهريُّ النَّازلُ من السَّماء هو المدى الَّذي يحصرُنا عندما نحصرُه في فمنا والكِيان. فيفتحُ لنا آفـــاقَ الحبِّ الَّذي يجمعُ الوجهَ إلى الوجه. حينها يصبحُ المخلوقُ إناءً لحضور الرُّوح

الَّذي تفيضُ منه الحياة. هذا ما تعلَّمتُه وهذا ما آمنتُ وأؤمنُ به، شاهدًا أمامكم لكي يكونَ فيكم وفيَّ فضلُ القوَّة لله وليس لنا. والسَّلام.

***

هذا، وكان ناجي نَعمان رَحَّبَ بالحضور وبضَيفه، وقد أطلقَ على الأخير لقبَ *"الرَّاعي بالكلمة والفِعل"*، وتكلَّمَ على تواضعه وعِلمه. كما أعلنَ نَعمان عن قيام مؤسَّسة ناجي نَعمان للثَّقافة بالمجَّان، جمعيَّةً غيرَ حكوميَّةٍ لا تبغي الرِّبح. ثمَّ جرى تقديمُ الضَّيف، وعلى التَّوالي، من قِبَل الأساتذة نبيل الحدَّاد، ونبيه الحدَّاد، وجورج عبَيد، فمن قِبَل الفَقيه الدُّكتور ميشال كعدي، كبيرِ أعضاء دار نَعمان للثَّقافة الفخريِّين، والمُستشارِ الأوَّل لـــ "لقاء الأربَعاء".

وكانت كلمةٌ من الضَّيف شرحَ فيها أبرزَ المحطَّات الَّتي طبعَت حياتَه في خضمِّ الحروب على أرض الوطن، والَّتي أوصلَته إلى اختيار السَّير في خطى مَن هو *"الطَّريق، والحقّ، والحياة"*. كما كانت مداخلتان من الأرشمندريت الياس ناصيف والشَّاعر الياس خليل. وقد قالَ الأخيرُ في الضَّيف:

بونا أغابيـــوس تصريح قلب صادِق بالتَّسبيـــح
ايَّامـــك بـــاب بمفتـــاح وكلامَك أجمَل توضيح
بإسم الرَّبّ حملت سلاح سلاح إنجيـــل المسيح

وتميَّزَ اللِّقاءُ بحضور حَشدٍ من مُحِبِّي الثَّقافة والأدب، من مِثل النَّقيبَين أنطوان رعد وفيليب الهيبي، والدَّكاترة أنيس مسلِّم وسليم مرهج ويوسف عيد، والمهندس نقولا غانم، والأدباء والصِّحافيِّين والأساتذة ريمون عازار وجان كمَيد وغريد الشَّيخ محمَّد وفرنسوا الحدَّاد وأديب القسِّيس وجوزف مسيحي ونبيل بو عبسي ومصطفى جحا، والعميدَين فادي ماضي وإميل رشكيدي، ورئيس بلديَّة دِدِّه جبرائيل الزَّاخم، ومختارة الرَّابية نبيلة فارس، ونائب مدير عام كازينو لبنان نضال مجاعص، والإعلاميَّة ماري–تيريز حنين، ورجال الأعمال غازي صرَّاف ومـــروان صرَّاف وجوزِف سمارة وروبير أبيض وميشال قازان ووليد برباري،

والأب سُهَيل قاشا، واللاَّهوتيّ جان عوض، والشَّمَّاس مَكسيم الصَبَّاغ، والسَّادة: فؤاد جورج كعدي وبشارة الخال وميشال بطرس؛ ومن الجنس اللَّطيف: ماغي فريجة وهيلانة عبُّود وندى زيتون ومي بطرس وكارول أميوني وكوليت سالك ونانا عيد وجومانا عبيد وپـــاتي برباري ونجوى الخال؛ إلى عائلة المُكَرَّم: والده إميل، ووالدته حنَّه، وزوجته غادة، وجوزف نعُّوس، مدير مصلحة في مجلس الخدمة المدنيَّة، ودُنيز، وروبير، وأمين، وهناء، وصونيا نعُّوس.

وجرى، في نهاية اللِّقاء، تسليمُ شهادة الاستِضافة من نَعمان إلى الأب أغابيوس نَعُّوس، فنخبُ المناسبة، وكما العادة، توزيعٌ مجَّانيٌّ لآخر إصدارات دار نَعمان للثَّقافة ومؤسَّسة ناجي نَعمان للثَّقافة بالمَجَّان المُنطَلِقَة حديثًا.

لقاء
المَوسوعيَّة غريد الشَّيخ محمَّد

الأربَعاء ١٣ نيسان ٢٠١١

أُسرةٌ تكوَّنَت من قلمٍ وأدب

طارق ناصر الدِّين

يُكَرِّمُ النَّهرُ الينابيعَ بضمِّها إليه، ويُكرِّمُ البحرُ أمواجَه باحتضانها.. فبماذا تكـــرِّمُ اللُّغةُ العربيَّةُ حبيبتَها غريد الشَّيخ؟!

ويردُّ معجمُها بالفصحى لا بالعُجمى.. الكاتبة الَّتي يكرِّمُها كتابُها يصلُ بها عـــادةً إلى قمَّة التَّكريم، ويصبحُ الخارجيُّ منه مجرَّدَ تحيَّة وفاءٍ وتقديرٍ وتحفيـــزٍ إلـــى مزيدٍ ومزيد.

في وضعها يجوزُ القول: متَّسِعَةٌ كقاموس، ودقيقةٌ كعالم ذَرَّة، وحسَّاسةٌ كرعشـــة قلم، ومتنوِّعةٌ كأزهار الجبال المهجورة.

ما مرَّة رأيتُ غريد الشَّيخ إلاَّ وفي ذهنها مشروعُ مؤلَّفٍ جديد، فهي تحملُ حلمًـــا ثقافيًّا بحجم أُمَّة، وكان حلمُها بَثَّاثًا ولم يكُن أضغاثًا، وكأنَّها لم تزلْ في البدايـــة، والنَّتيجةُ أكثر من أربعين مؤلَّفًا في اللُّغة والنَّقد والتَّحقيق وأدب الأطفال.

وَلاَّدةٌ تكفي ولا تستكفي، ناذرةٌ ومَنذورةٌ في آنٍ معًا، نذرت نفسها لقلمٍ عربيٍّ لن يصمتَ أبدًا فنذرَها قلمُها لكلِّ كلامٍ جميل.

معجمُ غريد بجمال تبويبه ودقّ منهجه وشمول كلماته جعلَني أعتقـــدُ أنَّ المؤلِّفـــةَ سابقتِ الكمـــبيوترَ فسبقَته.. وقُمْ بهذه التَّجربة البسيطة: المعجـــم علـــى يمينـــك والحاسوب على يسارك، وأنت تريدُ البحثَ عن معنى كلمـــة معيَّنـــة، ستنتصـــرُ يُمناك على يُسراك، فالعقلُ خلقَ وليدَه الكتاب وحفيدَه الكمـــبيوتر، ولـــن يتجـــرَّأَ الحفيدُ المهذَّبُ على عصيان سلطان أبيه!!

وأمَّا عن *"أيَّامٍ معهم"*، فهي سلسلةُ أدبٍ ونقدٍ وعرضٍ وتقديمٍ تزهو على مثيلاتهـــا بكمِّيَّةٍ من المحبَّة والإلفة تجعلُ الشَّاعر مطمئنًّا إلى شريكه النَّاقد، فـــ *(رَغد)* غريد عشقَت جريـــرًا ورقَّت معه وله، وتولَّهـــت بنزار قباني فبادلَها، وآنسَـــت محمَّد

الفيتوري حتَّى باحَ لها بما لا يُباح.. وجرَّت عبد العزيز خوجة إلى مضارب بَني عُذرة، وتبادلت مع هدى ميقاتي نخبَ أُخوَّةٍ تجاوزت واقعَها إلى المثال.
أقفُ مع هذه العناوين وأنا أعرفُ أنَّ كتبًا كثيرةً من إنتاج غريد الشَّيخ ستعتَبُ عليَّ لعدم ذِكرها، وما كان ذلك نسيانًا، ولكنَّ طبيعةَ الكنوز أن يبقى بعضُها مستَتِرًا بانتظار زمنٍ أفضل.

من بوَّابة هدى ميقاتي دخلتُ حديقةَ غريد، وهناك نشأتْ صداقةٌ طيِّبةٌ مع أسرةٍ تكادُ تكتملُ لولا استحالةُ الكمال لمَخلوق.. شقيقتُها إيمان بقاعي، الرِّوائيَّة البحَّاثة، وبنات إيمان وأبناؤها ورثوا الإبداعَ وزادوا..

فطوبى لأمٍّ تلدُ مُبدعتَينِ، وطوبى لأبٍ تكوَّنَت أسرتُه من قلمٍ وأدبٍ قبل أن تتكوَّنَ من صُلْبٍ ونَسب..

تغرِّدُ في معاجمها غريدُ

هدى ميقاتي

غريد الشَّيخ: عربيَّةٌ تَعَشَّقَتِ الأَدَبَ والشِّعرَ حتَّى مُنتهى العِشْق.. وتَوغَّلَتْ في اللُّغَةِ حتَّى لامَسَتِ الأَعماق.. وتَوسَّدَتْ أُمَّهاتِ الكتُب فكانتْ لها الوِسادَ والكِساءَ والغِذاءْ..
لها حنجرةُ عصفورٍ وقلبُ يمامةٍ وإرادةُ نسْر...
كانتْ مَكسُوَّةً بعدُ بالزَّغَبِ اللَّطيفِ حين تَعلَّمَتِ التَّحليقَ بين مُنحَنَياتِ اللُّغةِ وفوقَ روابيها وقِمَمها حتَّى لامسَتْ قوادمُها الذُّرى... مِن طبعها اللَّهفةُ تَبْذُلُها باعتزازْ.. ومن سَجاياها الحنانُ تُخَبِّئُه بفَيضٍ من الحيويَّةِ والبَشاشة.. وهي بين رقَّةٍ ولُطفٍ وصلابةِ موقِفٍ وطلاقةِ لِسانٍ تَدَعُكَ تطَّلِعُ على رَحبٍ مِن ثَقافتِها بلا ادِّعاءٍ ولا فَذْلكةٍ مُضْجِرة...

في عينَيها يتَوَهَّجُ حَجَرُ ذَكاءٍ كريم.. شُعْلَةٌ أُلْقِيَتْ في مياهِ نَظْرَتِها الَّتي تومِضُ وتَتَرَقْرَقُ فتَعجَبُ كيف يجتَمِعُ النَّقيضانُ بكلِّ هذا الانسجامِ اللَّطيفْ الجميل..
عربيَّةٌ تَعَشَّقَتِ الأَدَبَ والشِّعرَ حتَّى مُنتهى العِشْق.. وتَوغَّلَتْ في اللُّغَةِ حتى لامَسَتِ الأَعماق.. وتَوسَّدَتْ أُمَّهاتِ الكتُب فكانتْ لها الوِسادَ والكِساءَ والغِذاءْ..
أديبةٌ جعلت من لغة الضَّاد تاجًا لأحلامها الذَّهبيَّة ورصَّعته بسبعٍ وثلاثين جوهَرةً مِن الكُتُبِ نَقَشَتْها عليهِ بمَحبَّةٍ وإجلال، ثمَّ زَيَّنَتْهُ بماسَةٍ فريدةٍ ثمينةٍ هي الأَثيرةُ فيه ولَن تكونَ الأَخيرة...

مَن يَطَّلِعُ على حياة الأَديبة غريد الشَّيخ ويتابِعُ عملَها يعرِفُ كم تَنسجُ بحُبٍّ واهتمامٍ عباءاتِ كتُبِها العربيَّةِ المُطَرَّزةِ بالأَصالة.. وكم تَتولاَّها النَّشوةُ والزَّهوُ حين تنتهي من عملِها وتحمِلُهُ بين يدَيها خارِجًا مِن المطبعة بكلِّ أَناقَتِهِ وجمالِ فَحواه.. ولا عجبَ فالكِتابةُ لمْ تَكُنْ في هوامشِ حياتِها بل في صُلبِ اهتِماماتِها.. ولمْ تَكتُبْ مرَّةً لِمُراءاةٍ أَو لِكَلَفٍ بالظُّهورِ بل تنصَهِرُ في عمَلِها حتَّى التَّفاني والاضمِحلال.. وحين تَنْهضُ به بَعد إنجازِهِ تجعَلُهُ أَمامَها لِتَقِفَ في ظِلِّهِ وتَراها تَمشي به ويَتَقَدَّمُها جَذْلانةً مَزْهُوَّةً بما تَحمِلُ.. بينما تَزْهو الأُخرَياتُ بِعِقْدٍ على الجيدِ أَو بفستانٍ جديد..

وها هي تأْتي حامِلةً معها مُعْجَمَها لنَقرأَ فيه هُوِيَّتَها الحقيقيَّة: أُمُّها الضّادُ وأَبوها الجِهادُ وأَخَواتُها المُفردات، ولَو قالت بعد ذلك إِنَّها سوريّةٌ لبنانيَّةٌ شركسيَّة..

لقد خرج اليومَ معجَمُها "المعجم" الجديد من رَحِمِ التَّعَب والجُهدِ والدَّهشة.. فكَم هو حريٌّ بنا أَنْ نتلَقَّفَ هذا المولودَ العِملاقَ ووالِدتَهُ بالتِّرحاب والأَهازيج، وهي أَوَّلُ سيِّدةٍ عربيَّةٍ تضَعُ مُعجَمًا بهذا الإِتقانِ وهذه المهارةِ والدِّقَّة..

كان مِن جميل الصُّدفِ أَن أَكونَ صديقَتَها وأَن أَطَّلِعَ على مَسيرَتِها وأَقِفَ على مُعاناتِها وهي تُنْجِزُ عَملاً لا أَقولُ تعجَزُ عنهُ الرِّجالُ، فقد أَلْغَتْ غَريدُ نِهائيًّا هذه المَقولَةَ الَّتي تَفتَرِضُ الفوارقَ، بل أَقولُ عملاً تَعجَزُ عنهُ مؤَسَّسةٌ لا بالمُطْلَقِ بلْ بالتَّحديد...

عشْرُ سنواتٍ مِن الكَدِّ والجُهدِ والصَّبر وغَريدُ تبحثُ في مناجِمِ اللُّغةِ ودهاليزها وتَذْرَعُ شاطئها الرَّحيبِ.. تُلَمْلِمُ المُفرداتِ.. تَلتَقِطُ الأَصيلَ وتَرمي الدَّخيل.. تَجمَعُ وتُرَتِّبُ وتُصَنِّفُ وتَشرَح.. تَستَبقي القَديمَ المُهمَلَ.. تُلَمِّعُهُ وتَصْقُلُه.. وتُضيفُ الجديدَ المستَخْدَمَ تُفَنِّدُهُ وتُعَرِّفُه.. حتَّى إذا اكْتَمَلَتْ لديْها المُفرَداتُ والتَّراكيبُ بمَعانيها ومَدلولاتِها وشُروحاتِها وشواهِدِها، خَرَجتْ إلينا بِكنزٍ ثمينٍ أَقلّ ما يُقالُ فيه إنَّه تُحفَةٌ فنِّيَّةٌ لُغويَّةٌ في الشَّكل والمَضمون...

حين نَنْظُرُ إلى المُعجَمِ نظرةَ المُتأَمِّلِ تتراءى لنا اللُّغةُ أُمَّةً احتشدَتْ بين طيَّاته بكلِّ تاريخها العظيم.. وتجسَّدَتْ فيه بآلاف المفرداتِ وملايينِ المُشْتَقَّاتِ والتَّراكيبِ والجُمَلِ والمعاني الَّتي جرتْ عبرَ التَّاريخِ على أَلسِنةِ أَبنائِها واستنبطَتها عقولُهم ومستلزمات حياتهم على مدى العصور...
وحين ننظرُ إليه نظرةَ المتفحِّص نجدُ بين دفَّتَيه عملاً شاملاً متكاملاً مبسَّطًا مرصوفًا بعناية فائقة في جمال طباعةٍ ونقاوة حرف.. مُرتَّبًا ترتيبًا هجائيًّا على طريقة علي بن الحسن الهنائيّ الَّتي اعتمدَتها غريد في منهجها، مؤثِرَةً إيَّاها كونها تسهِّلُ على مستخدم المعجم الوصولَ إلى كلمته المُرادَة، فلا يتطلَّبُ منه بحثُه عن الكلمة سوى صحَّةِ نُطقها وكتابتها.
لم تستبعِدْ غريد الشَّيخ الكلماتِ والألفاظَ الَّتي طوَتها العصور، ولم تجدْها كلماتٍ بائدةً سقطت من خزائن اللُّغة فأُهمِلَت ثمَّ صَدِئَت، بل أصرَّت على إدراجها في سياق أخواتها حفاظًا منها وحرصًا على تراثٍ لغويٍّ وشعريٍّ قديمٍ يصعبُ على مَن يتناولُه أن يفهمَ معانيه من دون الرُّجوع إلى المعاجم القديمة، أو إلى معجمها على وجه الخصوص.
أليس في ذلك إحياءٌ لتراثنا اللُّغويِّ العظيم من أن يُحَنَّطَ أو يُباد، أو يُلقى في سلَّة المُهمَلات؟

مُتعةٌ هو الغوصُ في هذا المعجم والبحثُ فيه، متعةٌ تبعثُها سهولةُ قراءته ووضوحُ حرفه ونقــاوةُ طباعته، وتلك الشَّواهدُ التَّوضيحيَّةُ الغنيَّةُ الَّتي زيَّنت بها

المؤلِّفةُ شروحاتِها من آيات القرآن الكريم، إلى الشِّعر، إلى الأمثال، وغيرها من الشَّواهد اللُّغويَّة العربيَّة الَّتي تتضحُ بالفصاحة وسلامة المعنى لتُشكِّلَ، إلى جانب الفائدة اللُّغويَّة، زوَّادَةً ثقافيَّةً وحضاريَّة.
ونُمعنُ في الغوص في تفاصيل المعجم، فتراها قد رفدَته بمفرداتٍ لغويَّةٍ عصريَّةٍ جمعَت فيها الكثيرَ من مجالات المعرفة من فنون وآداب وعلوم، مُعرِّجَةً على قواعد اللُّغة الَّتي لم تغفَلْها المؤلِّفةُ في المعجم، فإذا هو مرجعٌ للسَّائلين عن علوم النَّحو والصَّرف والقواعد، بما يشملُ الطلاَّبَ منهم، والمتخصِّصين.

كم أسعدَني صدورُ هذا المعجم، وكم أشعرَني بالفخر والاعتزاز ببنات جنسي من الأديبات والكاتبات اللاَّتي يتميَّزن بموهبة أصيلة تعزِّزُها براعةٌ لغويَّةٌ وسدادُ فكر، وإرادةٌ وصبرٌ لا يتحقَّقان إلا لدى أنثى عاشقة متيَّمَة باللُّغة كغريد الشَّيخ.
وإنِّي، إذ أباركُ للصَّديقة غريد الشَّيخ وللأمَّة العربيَّة هذا النِّتاجَ الضَّخمَ القَيِّمَ والفريدَ الَّذي مثَّلَ حدثًا لغويًّا وحدثًا أُنثويًّا بارزًا كانت فيه، غريد الشَّيخ، رائدةً في هذا المجال، أتمنَّى أن يشكِّلَ عملُها هذا في المستقبل حالةً تعبويَّةً أدبيَّةً للنِّساء المفتَتَنات بلغتهنَّ العربيَّة الجميلة.

وأخيرًا، أقدِّمُ هذه الباقة إلى الصَّديقة العزيزة غريد الشَّيخ:

تُغَـرِّدُ في مَعاجِمِـــها غَريـدُ ورَجْـعُ غِنائِـــها النَّغَـمُ الفَريـدُ
تَقاسيـــمٌ على الأَوراق تَغْفـــو فَتوقِظُـــها، ويَعْزِفُـــها النَّشـيـدُ
لِســانٌ يَعْرُبِـــيٌّ الوَقْـــعِ يَعْلـو ولا يَهْتَـــزُّ مَبْنـاهُ الوطـيـدُ
وتَنْهَمِرُ المَعـــاني، كُـلُّ لَفْـــظٍ لـــهُ التِّبْيـانُ والمعْنـــى الأَكيـدُ

***

ليـــالي الصَّبرِ مَرَّتْ ما اسْتَكانَتْ ولَمْ يَرْفِـقْ بها الجُهْـدُ الجَهـيدُ
فقد عَشِقَـتْ، و"سَحبـانٌ" هواها وفارِسُ حُلْمِها "العَقْـدُ الفريـدُ"
تَغَـذَّتْ مِـنْ يَنابيـعِ البـوادي وقِطْعـانُ الكـلامِ بِها حُشـودُ
رَعَـتْها كالـرُّؤومِ وما ثَنـاها على ضـيقٍ فَطـيمٌ أَو وليـدُ

وتُطْعِمُها الحــروفَ وكُلُّ حَرْفٍ تُضَمِّــنُــهُ لِــمُفْــرَدَةٍ يَجــودُ
إذا مَسَحَتْ صِحافــاً تَجْتَليــها: هنا حَجَــرٌ، هُنا ذَهَبٌ نَضــيدُ
وإنْ بَحَثَتْ يُســاقُ لــها بَيــانٌ كما يأْتــي الــمُرادَ لَهُ مُريــدُ
غريــدُ تُغَرْبِــلُ الألفاظَ تِبْــرًا ويبْــقى مــن سلالتِــهِ النَّليــدُ
لها النُّعْمى، جِهــادٌ ليسَ يَفْــنى لها القَلَــمُ الــمُظَفَّرُ والسّــعيدُ

الأديبة غريد الشَّيخ ومراعفُ الأقلام

ميشال كعدي

ملأت غزَّارتها من عصارة الفكر، ثمَّ ذكَّتها بالخُلُق ومُعصِــراتِ اللُّغــة والأدب، لذلك فالَّذي يعيشُ بجيرتها لا يتظمَّأ.

هذه الأديبةُ الكبيرة، قلائدُها تُعجَنُ بفَتِّ المِسكِ والأفاويهِ، وماءِ الزَّهــرِ والنَّقــاءِ والرُّواء.

ما بَعُدَتْ يومًا، أو حالَت عن الكتابة، فهي مع الكلمة في تواصُلٍ دائم. وإذا علــى سبيل المثال كَسِلَ القلمُ الغَنوجُ بين الأناملِ اللّدنِ، عتبَ عليهــا شــوقُ الرِّيشــةِ والتَّرفِ والأناقةِ، فالعتبُ والمَوجدةُ والأزاميلُ مِن عُدّة محترَفِها، وأدواتِ فنِّها.

غريد الشَّيخ محمَّد،

أناقتُها في الكتابة، على مَدِّ أعمالِها، وعَشراتِ كُتُبِها، ومُعجمِها الفريدِ في العــالم العربيّ، جعلَني أقولُ إنَّها تريدُنا دائمي الشَّوق والتَّطَلُّــع إلــى رميــة وحَطَّــاتِ أصابعها على الصَّفحات البيض والورق.

هذه الأديبةُ الكبيرةُ توافرت لها وضائعُ البيانِ، والنّقلةُ الَّتي مَهَرت فــي اختيــارِ الكلام، والأُشغولاتُ، وكشفُ غوامضها، وكلُّ ذلك في عُمق منبسطاتِ لُغةِ الضَّادِ والأبجديَّة، تلك هي حقيقة الكَنَّازِ المُدَّخِرِ الَّذي يعيشُ العمرَ لشأنٍ.

ولعلَّ صديقتَنا غريد الشَّيخ في أدبها، وبخاصَّةٍ في مُعجمِها اللُّغويِّ والنَّحويِّ والصَّرفيّ، مُضافاً إلى ذلك الإعراب والمصطلحات وما يهمُّ القارئ العربيّ، كانت رائدةً حين جمعتِ الثَّبيتَ وفرادةَ الكلمة، ثمَّ كشفت عن المعاني كافَّةً، وعن جَذر الكلمة وصَرفِها ونَحوِها بطرائقَ ممتعةٍ، من دون أن تُهملَ المُصطلحات العلميَّة والفلسفيَّة وتفسيرَ ما استعصى على مؤلِّفي المعاجم القديمة والحديثة.
وفي هذا السِّياق أُسرعُ لأقولَ، إنَّ غريد الشَّيخ محمَّد هي المرأةُ الوحيدةُ في الشَّرق العربيِّ الَّتي أنجزت مُعجمًا من هذا المُستوى.

هذه المُدمنةُ على اصطكاكِ الحروفِ، أُخِذنا بها أديبةً، واليومَ أُعجِبنا بها مُعجميَّةً، وحالُها معنا اليومَ كحالِ ابن منظور والفُقهاء والمعجميِّين الكبار، فهؤلاء وحدَهم يدركون، كيف يُلتَهمُ الجَيِّدُ، وكيف يُزدَرى الرَّخيصُ، ويعرفونَ ما يحملُ العقلُ وما يقضي الصَّوابُ في مسالكِ اللُّغة وعَصَبِها.
ولا عَجَبَ أن تكثرَ تجاربُها في التَّأليفِ، وهي الَّتي اختارتِ الأدبَ وعلمَ اللُّغةِ العربيَّةِ طريقًا لدُنياها.
وإزاءَ مَحبَّتها المِلحاح للُغتنا، وقَفنا معًا لإحياءِ اللُّغة العربيَّة ومُحاربة القصور اللُّغويّ، وما أغنى المختبرات.
ثمَّ وَسَّعتِ الأرجاءَ والعلائقَ، جاعلةً كنوزَ الضَّادِ في أقمطةِ وأرديةِ الوقايةِ والصِّيانةِ حتَّى لا تُصابَ من أهلِها. وفي هذا الإطارِ بالتَّحديد، نتذكَّرُ ما جاء في كتابِ *"أنقذوني من أهلي"* لرجلِ المواقفِ والمآثرِ الأديب الموسوعيِّ متري نَعمان.
ومن قناعاتها، أنَّ العربيَّة من الثَّقافات الأولى للإنسان؛ ومن الطَّبيعيِّ بمكانٍ أيضًا، أن تخرجَ من معترَكِها اليوميِّ منتصرةً بخلاصاتٍ من شأنها رفعُ أهمِّيَّة لغة الضَّادِ، وإن كان الأمرُ على حسابِ أعصابِها ومراعفِ أقلامِها، لتؤَمِّنَ شَدَّ سُبَحِ القلائدِ بطرائقَ مدروسةٍ، وكلُّ ذلك بالتَّركيزِ المُتناهي والانضباطِ والدِّقَّة، ونَفاذِ العينِ ومجلوب الذَّوق وحُسن الرَّصْف والإخراج.

غريد.. أعطَت مُعجَمَها في أجزائه السِّتَّةِ مَجدًا لُغويًّا للعرَب، كلِّ العرَب، بعد عشرة أعوامٍ وبضعةِ أشهُرٍ من التَّعبِ.

أعطَت بكَرَمٍ من ضِياءِ العينِ في غياهبِ الكلام.
أعطَت من ذوبِ الرُّوحِ، والنِّياطِ، وخَبيءِ العروق على تعاريجِ الحروفِ؛ وأمَّا الغلالُ فمعجزةٌ، وطَفحُ المِكيالِ مُلفِتٌ، مع العلمِ أنَّ العملَ وراءَه فَردٌ لا جماعةٌ.

غريد.. أديبةٌ بمقدار ما هي لغويَّةٌ، وهي قادرةٌ على جَمعِ البلاغةِ، وتَعكيفِ الحلى بأناملَ مهيلة، حتَّى باتت غريدًا مشفوعًا بموسيقا قِيثارةٍ لُغويَّةٍ، وأطيابًا من بَنـــي عبدِ مَناف والبَلسمِ المَكِّيّ.
وقد أراني مرتاحًا على التَّعبيرِ بعدَ أعمالِها، أنَّها تَلِيَّةُ الأَعلامِ العِظامِ، فنزعَت في مُهِمَّتِها إلى تنسيقٍ رائعٍ وشمولٍ في المعاني، وقفَ دونَه الكثيرونَ.

في أيِّ حالٍ..
التَّحيَّةُ لهذه المُبدعةِ، الَّتي أضافت إلى تُراثنا، مداميكَ تَجلَّتْ ببطائنِ المجـــدِ، وإذا النِّتاجُ من أسانيدِ العقل.

غريد، إذا الدَّولةُ لم تمنَحْكِ وسامًا، فدارُ نَعمانَ للثَّقافة، منحَتْكِ المحبَّةَ مرســومةً على وجه النَّاسِ والمثقَّفينَ في لبنانَ، وشهادةَ تقديرٍ أَوفـــى مـــن كـــلِّ الأوســـمةِ المَنسيَّةِ.

غريد، سلمَتْ يداكِ.

سيحبُّون الكتب ويَجدونها جُزءًا من حياتهم

غريد الشَّيخ محمَّد

قد يكونُ من أصعب الأشياء أن يتكلَّمَ الإنسانُ على نفسه، ولكنَّني اليومَ، في حرة أناسٍ يحبُّون الكلمةَ ويكرِّمونها، أجدُني أتكلَّمُ بسهولةٍ ويُسر، لأنَّني سأتكلَّمُ على أبنائي الّذين يقاربون الأربعين في العدد.. إنَّها كتُبي الَّتي أعطيتُها أجملَ أيَّامي ولحظات عمري، ولست نادمةً، فهي أغلى ما أملكُ في دُنياي.

تمرُّ ذكرياتُ طفولتي كشريطٍ مسجَّلٍ أمامي: بيتٌ جدرانُه مؤلَّفةٌ من الكتب لا من الإسمنت، وكنتُ دائمًا أحلمُ أن يصبحَ اسمي على أحد هذه الكتب، ووالدٌ مُكِبٌّ على الكتب يتنقَّلُ من واحدٍ إلى آخر، وينادينا أنا وأختي من حين لآخر، على الرَّغم من صِغَر سنِّنا، لنساعدَه في استخراج معلومةٍ ما، أو كتابةِ نص.. وكثيرًا ما كانت أمِّي تعترضُ، وتقولُ له إنَّنا ما زلنا صغارًا، ولكنَّه يُجيب: سيحبُّون الكتب ويَجدونها جُزءًا من حياتهم.

وهكذا كان، أصبحَ الكتاب بالنِّسبة إلينا الجُزءَ الأهمَّ والأجملَ في الحياة. إلتهَمنا كتبَ مكتبتنا الكبيرة، وانتقَلنا، بحَسَب العمر، من القصص إلى الكتب التَّاريخيَّة، ثمَّ الدِّراسات.. وهكذا، مرَّتِ الحياةُ سهلةً ونحن نتمثَّلُ التَّجاربَ الَّتي نقرأُها وتساعدُنا في أيَّامنا، وتزيدُ خبرتَنا الحياتيَّة.

بعد تخرُّجي من الجامعة، وحصولي على الماجيستر في تحقيق المخطوطات، أدركتُ أنَّ العملَ الَّذي أرغبُ القيامَ به حقيقةً هو الكتابة والتَّحقيق، وذلك لِما وجدتُه من أخطاء في الكتب المَطبوعة، وأيضًا لأنَّني أحسَستُ أنَّ هناك مسؤوليَّةً تربويَّةً وتعليميَّةً يُمكنني القيامُ بها من خلال الكتابة. أصدرتُ كتبي الأولى عن الأدباء: قاسم أمين، وميّ زيادة، وفدوى طوقان، وهي دراساتٌ موجَّهةٌ إلى غير المتخصِّصين.

وقمتُ بطباعة رسالة الماجيستر *"إعتلالُ القلوب في أخبار العشَّاق والمحبِّين"* الَّتي استمرَّ عملي في تحقيق مَخطوطها أكثر من أربع سنوات. وفي أثناء العمل، ولأنَّني أحضرتُ كلَّ الكتب المشابهة في المكتبة العربيَّة، وجدتُ أنَّ أكثرَ هذه الكتب قد طُبعت من دون تحقيق أو اهتمام، وهذا بسبب أنَّ أكثرَ دور النَّشر تجاريَّة، ولا تهتمُّ إلاَّ بإصدار الكتب، فقُمت بتصنيف الأشعار الواردة في أربعةَ عشرَ كتابًا من كتب العشق، وقمتُ بتحقيقها وضبطها، وأصدرتُها في معجمٍ أسمَيتُه: معجم أشعار العشق في كتب التُّراث العربيّ، مؤلَّف من ٨٤٠ صفحة من القطع الكبير.

بعد ذلك أَلَّفتُ مجموعةً من الكتب في تبسيط اللُّغة العربيَّة، مع استخدام الأمثلة المناسبة لكلِّ الأعمار.

وأمَّا بالنِّسبة إلى الشِّعر الَّذي أحببتُه دائمًا، فقد كانت لي في دراسته طرقٌ عدَّة، فقد شرحتُ عددًا من دواوين الشِّعر العربيِّ القديم، وفي أثناء دراستي تلك، أحببتُ تقديمَ الشُّعراء لغير المتخصِّصين على نحوٍ سهلٍ محبَّب، فكانَت *"سلسلةُ أيَّامٍ معهم"* الَّتي كتبتُ فيها عن خمسة من الشُّعراء من مختلِف العصور (جرير، نزار قبَّاني، محمَّد الفيتوري، عبد العزيز خوجة، هدى ميقاتي).

وأمَّا العملُ الأهمُّ والَّذي أخذ الكثير من الوقت لإنجازه فهو *"المعجم في اللُّغة والنَّحو والصَّرف والمُصطلحات"*، في ستَّة أجزاء، فقد عملتُ فيه لأكثر من عشر سنوات مع فريق عملٍ يتجاوزُ عددُه الثَّلاثين، والسَّببُ في تصميمي على هذا العمل هو ما وجدتُه من فجوةٍ كبيرةٍ بين المعاجم القديمة الَّتي كان لأصحابها الفضلُ في الحفاظ على هذه اللُّغة العظيمة، والمعاجم الحديثة.

وأمَّا المعاجمُ القديمةُ فقد صارت بعيدةً عن روح العصر الَّذي يتميَّزُ بالسُّرعة والمباشرة، فإذا أراد قارئٌ ما أو باحثٌ أن يجدَ كلمةً في أحد تلك المعاجم، فهو يضيعُ بين الصَّفحات، ويدخلُ في متاهات جذر الكلمة وأسرته، حتَّى يصلَ إلى مُبتغاه؛ وهذا ما يبعدُ الإنسانَ المعاصرَ عن هذه المعاجم، ناهيك عن العدد الكبير لمجلَّدات كلِّ معجم.

وأمَّا المعاجمُ الحديثةُ فإنَّ أصحابَها قد حذفوا الكثيرَ من مفردات اللُّغة العربيَّة من دون مسوِّغٍ سوى أنَّها كلمات بائدة، ونحن نسألُ هؤلاء: إذا أراد طالبٌ جامعيٌّ أو باحثٌ أن يجدَ معنى كلمة وردَت في الشِّعر القديم، فأين يجدُها؟ بالتأكيد هو بحاجةٍ إلى أن يعودَ إلى المعاجم القديمة.

من هنا نشأت الحاجةُ إلى وجود معجمٍ عصريٍّ يناسبُ عصرَ السُّرعة والتَّطوُّر، وفي الوقت نفسه يأتي بكلِّ المفردات العربيَّة مع معانيها المختلِفة، فلا تكونُ هناك حاجةٌ إلى الرُّجوع إلى معاجم أخرى.

هذا، وقد أخذنا بعين الاعتبار وجودَ كلماتٍ ومصطلحاتٍ دخلَت لغتَنا المعاصرة، وبتنا نستخدمُها في أحاديثنا اليوميَّة، ونسمعُها على شاشاتنا وإذاعاتنا، فرأينا أن نُدخلَ هذه المُصطلحات، ونضعُها في مكانها المناسب، مع ذكر اللَّفظة الأجنبيَّة (الدِّيمقراطيَّة، الدِّيكتاتوريَّة، البروباغاندا...).

وأمَّا الظَّواهرُ العلميَّةُ الَّتي كانتِ المعاجمُ القديمةُ والحديثةُ تتجاهلُها، فقد عرَّفناها تعريفًا علميًّا، وذلك بالرُّجوع إلى الكتب المتخصِّصَة والمراجع العلميَّة، ومراجعة وإشراف المتخصِّصين كالدُّكتور منيب العيد، الاختصاصيِّ في علم الفيزياء والفلك في الجامعة الأمريكيَّة. وبهذه التَّعريفـــات، يستطيعُ طالبُ المدرسة أو الباحثُ أو الإنسانُ العاديُّ الرُّجـــوعَ إلى هذا المعجم

ليعرفَ المعنى العلميَّ لظاهرةٍ ما (الاحتباس الحراري، الأوزون...)، أو لِمُكوِّنٍ من مكوِّنات الطَّبيعة (الماء، الكربون، الهيدروجين...).
ومن مميِّزات هذا المعجم أنَّه يتضمَّنُ إعرابَ الكلمات الَّتي ثمَّةَ عدَّةُ أوجهٍ في إعرابها، من مثل: (حتَّى، حيث، إذا...)؛ وهذا ما لا يتوافرُ في المعاجم الأخرى.
وأمَّا طريقةُ ترتيب المعجم فهي بحَسَب نُطق الكلمة وإملائها، وهي الطَّريقةُ الأسهلُ والأنسبُ لمَن يريدُ السُّرعةَ والفائدة.
إنَّ مسيرتي في الكتابة جعلَتني أحْوَجُ ما أكون إلى تأسيس دارٍ لنشر كتبي كما أحبُّ أن تُنشر، خالية من الخطإ، وبعيدة عن الأهداف التِّجاريَّة الَّتي قد تكون سببًا في مَسخ الكتب وإصدارها بطريقةٍ بعيدةٍ عن الأهداف العلميَّة السَّامية، فكان أن أسَّستُ منذ حوالى الأربع سنوات دارَ النّخبة للتَّأليف والتَّرجمة والنَّشر، وقد كان المعجمُ أحدَ أهمِّ ما نُشر فيها، بالإضافة إلى كتبٍ أخرى لعددٍ من الأدباء. هذا، وقد جعلنا لهذه الدَّار موقعًا على الإنترنت، وأسَّسنا مكتبة دار النّخبة الإلكترونيَّة المجَّانيَّة الَّتي ننشرُ فيها بعضَ الكتب الأدبيَّة والرِّوايات والدِّراسات.
هذا، ونشيرُ إلى أنَّنا نعملُ على ترجمة بعض الأعمال إلى اللُّغات الأجنبيَّة، وذلك مساهمةً منَّا في نشر الفكر العربيِّ والثَّقافة العربيَّة.
وأما آخرُ الأعمال الَّتي نقومُ اليومَ بها فهي اختصار المعجم الكبير ليكونَ بمتناول الجميع، ولنقدِّمَه بأقلِّ سعرٍ ممكنٍ إسهامًا منَّا في نشر اللُّغة العربيَّة الصَّحيحة.

أخيرًا، أشكرُ دارَ نَعمان للثَّقافة الَّتي قامت على مدى سنوات بالاهتمام بالأدباء والكتَّاب، وقدَّمت هذا التَّواصلَ الجميلَ بين أبناء الثَّقافة والأدب والعِلم.

***

هذا، وكان ناجي نَعمان رَحَّبَ بالحضور وبضَيفته، في ختام موسم صالونه الأدبيّ الثَّقافيّ الثَّالث (٢٠١٠-٢٠١١)، في "لقاء الأربَعاء" الثَّامنَ عشر، وتكلَّمَ على غريد الشَّيخ محمَّد، الأديبةِ وصاحبةِ الأعمال اللُّغويَّة الموسوعيَّة. ثمَّ جرى تقديمُ الضَّيفة من قِبَل كلٍّ من الشَّاعر الأمير طارق آل ناصر الدِّين، الشَّاعرة هدى ميقاتي، الفقيه الدّكتور ميشال كعدي.
وكانت كلمةٌ من الضَّيفة شرحَت فيها أبرزَ المحطَّات الَّتي طبعَت حياتَها ونشاطَها الأدبيَّ والموسوعيّ. كما كانت مداخلات، ولاسيَّما من الشَّاعر الياس خليل الَّذي

ارتَجَلَ في الضَّيفة المُكَرَّمَة – بعد احتدام النِّقاش حول استِخدام كلمة مَهَمَّة أو مُهِمَّة للتَّعبير عن الأمر المَطلوبُ تنفيذُه – الآتي:

غريد، وصوتك مَسموع بالإبـــداع الإنساني
وكلامِك معجم مَطبــوع لكـــن إنتي المَعــاني
زرَعتي بقَلب المُعجَم دم حتَّى كلِّ العالَـــم عَــمّ
مَهَمَّـــــه أو مُهِمِّـــــه حضورُك وَحدو المُهِمّ

وتميَّزَ اللِّقاءُ بحضور حَشدٍ من مُحِبِّي الثَّقافة والأدب، من مِثل الــبروفسُّور مُنيب العيد، أستاذ علم الفلك والفيزياء في الجامعة الأمِريكيَّة، النَّقيبَين أنطوان رعد وفيليب الهيبي، الدُّكتور أنيس مسلِّم، الأدباء والصِّحافيِّين والأساتذة ريمون عازار وجان كميد وجورج مغامس وأديب القسِّيس وجوزف مسيحي ونبيل بو عبسي وجوزف صفير وجورج شمعون وعدنان البرجي وشربل شهوان ونزيه شلالا، العميد خير فريجة وعقيلتُه ماغي، الأب العلاَّمة سُهَيل قاشا، السَّادة إيلي مراد وجوزف جدعون وشربل عقل وجان–كلود جدعون وهادي القهوجي؛ ومن الجنس اللَّطيف ماري–تيريز الهوا وغريد جحا ورفيف قاسم.

وجرى، في نهاية اللِّقاء، تسليمُ شهادة الاستِضافة من نَعمان إلى غريد الشَّيخ محمَّد، فنخبُ المناسبة، وتوزيعٌ مجَّانيٌّ لآخر إصدارات مؤسَّسة ناجي نَعمان للثَّقافة بالمجَّان، كما لثلاث كتبٍ للضَّيفة، بحيث تتكرَّسُ أكثر، مع الأيَّام، مَقولةُ نَعمان بأنَّ *"المَجَّانيَّة، هي الأخرى، تُعدي"* !

TABLE DES MATIÈRES
CONTENTS

Rencontre 1: Suhayl Qasha..... 88
Rencontre 2: Maurice An-Najjar..... 78
Rencontre 3: Antoine Raad..... 68
Rencontre 4: Georges Chami 58
Rencontre 5: Aghabios Na'ouss..... 40
Rencontre 6: Gharid Ash-Sheikh Muhammad..... 22

les
rencontres
du
mercredi

troisième cueillette
2010-2011

Salon littéraire et culturel naji naaman

FCG fondation naji naaman pour la culture gratuite

الثقافة بالمَجَّان

سلسلة كتب أدبيَّة مجَّانيَّة أسَّسَها *ناجي نعمان* عامَ ١٩٩١ وما زالَ يُشرفُ عليها

Ath-Thaqafa bil Majjan

Série littéraire gratuite établie et dirigée depuis 1991 par
Free of charge literary series established and directed since 1991 by
Serie literaria gratuita establecida y dirigida desde 1991 por
Naji Naaman

LIQA'UL ARBA'A' 2010-2011
LES RENCONTRES DU MERCREDI 2010-2011
WEDNESDAYS' MEETINGS 2010-2011
لقاءُ الأربَعاء ٢٠١٠-٢٠١١

Octobre 2011

ألحقوقُ مَحفوظَة © *Tous droits réservés* – All rights reserved – *Todos los derechos reservados*

Maison Naaman pour la Culture & Naji Naaman's Foundation for Gratis Culture *FGC*